

مسرحية

حسام الدين الأندلسي

مصطفى صادق الرافعي

قدم ا وعلق عليها

وليد كساب

دار البشير للثقافة والعلوم



اسـم الكتـــاب: حسام الدين الأندلسي
التـأليـــــــف: مصطفى صادق الرافعي
موضوع الكتـاب: مسرحية
عـدد الصفحـات : 160
عـدد المــلازم : 10
مقاس الكتـــاب : 14 × 20
عـدد الطبعـات : الطبعة الأولى
الإيداع القانونـي : 2014/2839
الترقيم الدولـي : I.S.B.N.978/977/278/418/5
الصـف التصويري: الندي للتجهيزات الفنية

التوزيـع والنشـر

مصر
دار البشير للثقافة والعلوم
darelbasheeralla@gmail.com
ت : 01152806533 - 01012355714

دار البشير للثقافة والعلوم

1436 هـ
2015 م



على سبيل التقديم

لا أعرف أديبًا ولا مفكرًا تواطأ عليه الظلم والتجاهل مثل الأستاذ مصطفىٰ صادق الرافعي (1880–1937م)، ففي الوقت الذي يُحتفىٰ فيه بأنصاف المثقفين من أبناء جيله ومن يليهم، لا نجد الرجل في المكانة التي تليق به ولا بأمثاله، وربما كان مرجع ذلك إلىٰ عوامل عدة، منها اتجاهه المحافظ الذي جعله هدفًا لكل التيارات المتحررة التي رأت فيه تهديدًا لأفكارها الوافدة النابذة لكل قديم، والمؤمنة بأن الداء يكمن في اجترار الماضي والعيش في ظلاله، وليس أدل علىٰ ذلك من أن الاستفتاءات التي كانت تجريها مجلة الهلال بين المحافظين والتغريبيين في قضايا كالمرأة الشرقية والغربية، والطربوش والقبعة كان الرافعي الطرف المحافظ فيها.

لكن عاملًا آخر لا يمكننا أن نغفل عنه بحال، فقد سبَّب له اعتزازه الشديد بنفسه وعزلته النسبية عن محيطه الذي يعيش فيه –وهو رد فعل طبيعي للإعاقة السمعية التي لحقته وحَبْسَةِ صوته– الأمر الذي جرَّ عليه بعض العداوات في عالم الصحافة والأدب، ومن ثَمَّ فسجِلُّه حافلٌ بالمثاقفات والمعارك الأدبية مع رموز

عصره، مما جعله هدفًا رئيسًا لسهام هؤلاء الرموز ووارثي فكرهم من بعدهم.

ومع أنه كان محسوبًا علىٰ مدرسة المحافظين في الشعر والفكر، فإنه لم يكن ليمانع في الاستفادة من الفكر الغربي شريطة أن يتفق مع تعاليم ديننا وموروثاتنا الاجتماعية، وتَمشي كتاباته باطلاعه علىٰ بعض ما كتبه رموز الفكر والأدب في الغرب أمثال (**ويليام شكسبير**) و(**فيكتور هيجو**) وغيرهم[1]، وكان عجبًا للناس أن ينبري مثله للدفاع عن مسرحية (**مُحمد**) التي نشرها الأستاذ (**توفيق الحكيم**) سنة 1936[2] بالرغم مما تعرَّضَتْ له من نقدٍ بسببٍ من جرأتها علىٰ بعض الموروثات الدينية.. ورغم ذلك لم يعرف الحقل النقدي شيئًا عن الجهود المسرحية للرافعي.

ومن هنا كان الحرص علىٰ نشر هذه المسرحية بعد عقود متعاقبة ظلت فيها رهينة الإهمال والنسيان..

---

(1) راجع: مقالاته في وحي القلم: (البؤساء)، و(القلب المسكين 8) و(شوقي)، (بعد شوقي).

(2) قال الرافعي في مقاله (محمد) بكتاب (وحي القلم): "**عمل الأستاذ توفيق الحكيم في تصنيف هذا الكتاب أشبه شيء بعمل (كريستوف كولمب) في الكشف عن أمريكا وإظهارها من الدنيا للدنيا**".

لكن.. ما القصة؟!

منذ قرأت في كتاب الأستاذ محمد سعيد العريان (**حياة الرافعي**) الذي تحدث فيه عن تراث الرافعي المجهول وأنا مُولعٌ بالبحث عن أعماله المستترة التي لم تُنشر في كتبه لاسيما كتابه المفقود (**أسرار الإعجاز**)[1]، فتوفرت لديَّ مقالات وأعمال كثيرة هي الآن في طور المراجعة والدراسة قبل نشرها.. لكن عبارة فجأتني قرأتها في (**ديوان الرافعي**) أثارت فضولي؛ فقد وردت عدة أبيات نُسبت إلىٰ رواية له تُسمَّىٰ (**موعظة الشباب**)، وجاء في هامش الكتاب: "**هذه الرواية هي أول رواية تمثيلية مطبّقة علىٰ دروس الأخلاق العصرية، وهي فوق ذلك تمتاز بروح الشعر الطائفة في كل معانيها، وستطبع قريبًا بعد تمثيلها إن شاء الله**"[2]

أخذت أُقلِّب ما لديَّ من كتبٍ تناولت حياة الرافعي علِّي أجد خيطًا هاديًا؛ فوقفت عند الكاتب العراقي الأستاذ مصطفىٰ البدري علىٰ عبارة في معرض حديثه عن آثار الرافعي: "**موعظة الشباب، وهي قصة تمثيلية ورواية في آن واحد، كتبها شعرًا ونثرًا**

---

(1) في زيارة لأسرة الرافعي منذ عدة سنواتٍ وقفت علىٰ أوراقٍ قالوا إنها بعض هذا الكتاب لكن لم يسمحوا لي بنشرها، ومنذ فترة وجيزة أعدتُ الطلب؛ فلمستُ استجابةً منهم، وقد وعدني أحفاده العميد سليمان حافظ والدكتور مصطفىٰ صادق بمنحي إياها لنشرها.. وإنا لمنتظرون.

(2) انظر: ديوان الرافعي تحقيق ياسين الأيوبي ص 469.

... كما أعلن عنها بأنَّ روح الشعر تنبع في كل فصل من فصولها، وقد وقفت على رسالة للمرحوم سلامة حجازي يطلبها منه إليه؛ كي يتمكن من عرضها وتمثيلها، ويظهر أن المنية قد تخطفته قبل أن ينظر فيها، وربما بقيت ضمن مخلفاته"[1] .

اتصلت بالعميد سليمان الرافعي لأسأله عن الرواية -وفي مخيلتي أنها رواية بالمفهوم الحديث وليست مسرحية- فأكَّد لي أنه لأول مرة يعرف أن لجدِّهِ رواية أو مسرحية؛ فولَّيت وجهي شطر دار الكتب المصرية العامرة؛ غير أني لم أجد فيها مطلبي، لكن شيئًا غريبًا حدث!!

برزت لي نسخة يتيمة لمسرحية أخرى باسم (**حسام الدين الأندلسي**) مُسجَّلة تحت رقم (ز 8482) في أربع وستين صفحة، يشير غلافها إلى أنها من الطبعة الثالثة سنة 1321 هـ؛ فقمت بنسخها.. لكن زادت حيرتي أكثر!

كان لابد من الرجوع إلى المصادر البيلوجرافية والمسرحية المعتبرة؛ للوقوف على أية معلومات بشأن (**موعظة الشباب**)، وأيضًا لتوثيق نسبة (**حسام الدين الأندلسي**) إلى الرافعي، فلم أجدها في معجم المطبوعات[2] ليوسف سركيس رغم إشارته إلى

(1) راجع: الإمام مصطفى الرافعي، ص 458.
(2) انظر: 2/ 926.

(**تـاريخ آداب العـرب**) و(**ديـوان النظـرات**)، وكـذلك الحـال في (**معجم المؤلفين**) لعمر كحالة الذي أورد بعض مؤلفات الرافعي وليس من بينها مسرحياته[1]

وبالرجوع إلىٰ المصادر المسرحية وجدت أن الـدكتور محمـد يوسف نجم لم يذكر أية مسرحيات للرافعي في كتابه (**المسرحية في الأدب العربـي الحـديث**) ، ولا الـدكتور رمـسيس عـوض في (**موسوعة المسرح المصري**) الببلوجرافيـة (1900–1930م) ، ولا الدكتور سيد علي إسماعيل في (**تاريخ المسرح في مصر**).

لكن إشارة يسيرة وقعتُ عليها في معجـم المـسرحيات العربيـة والمعرَّبة (1848–1975م) للأستاذ يوسـف أسـعد داغـر، يقـول فيهـا: "**حـسام الـدين الأندلـسي: تـأليف مـصطفىٰ سـعيد الرافعـي الطرابلـسي اللبنـاني، شـعرية نثريـة في (7) فـصول، تحكـي مجـد العرب في الأندلس، مكتبة الواعظ، 1903م**"[2]

وثمة ملاحظات على ما كتبه داغر من الأهمية أن نسجلها:

أولا: تـصنيفه للمـسرحية بأنهـا (**شـعرية نثريـة**)، أي أنهـا لـيست شعرية خالـصة –كمـا سـنبين بعـد قليـل– وإن غَلَـبَ عليهـا الـشعر الذي أكثره من التراث العربي وليس من نظم المؤلِّف.

---

(1) راجع ترجمته 12/ 256.

(2) انظر ص 254

ثانيًا: قوله إن الرواية تقع في (**سبعة فصول**)، والحقيقة أنها (**ستة**) إلا أن يكون قد بدا للرافعي حذف أحد فصولها عندما أعاد نشرها لسبب لا نعرفه.

ثالثا: أن الطبعة التي وقف عليها هي طبعة مختلفة غير التي عثرنا عليها بدار الكتب المصرية، حيث قال إنها منشورة في مكتبة الواعظ، بينما النسخة الأخرىٰ منشورة بالمطبعة العمومية، ويبدو أن الرافعي قد نشر المسرحية مرتين في العام 1903م.

رابعا: قال إنها تحكي عن أمجاد العرب في الأندلس، والحقيقة إنها تحكي جانبًا من الصراع لا عن الأمجاد.

إلىٰ هنا تبدَّد الأمل في العثور علىٰ (**موعظة الشباب**)؛ فآثرت أن أعمل علىٰ إخراج الرواية الأخرىٰ المتاحة؛ فما لا يُدرك كله لا يُترك كله!

علىٰ غلاف الطبعة الأولىٰ التي سيأتي ذكرها فيما بعد كُتبَت عبارة مُلغِزَة: "... **المتداول تشخيصها جوق حضرة الأديب إسكندر أفندي فرح**" وهذا ربما يعني أن المسرحية تم تمثيلها، أو علىٰ الأقل تم الاتفاق مع الفرقة علىٰ ذلك؛ ولذا تواصلتُ مع المؤرخ والناقد المسرحي الدكتور عمرو دواره -بعدما علمت بانتهائه من إنجاز موسوعة ببلوجرافية عن المسرح المصري في تسعة آلاف صفحة وثَّق فيها نحو 4500 عرض مسرحي- للتثبت

من تمثيلها وأختها (**موعظة الشباب**) من عدمه؛ والحقيقة أنه قام بجهد يُذكر فيُشكر، وتوصل من خلال مصادره إلىٰ أن الرافعي لم تُمثَّل له أية مسرحيات.

كان لابد من الرجوع إلىٰ بعض الصحف الصادرة في هذه الفترة، فربما وجدتُ ما يُساعدني في هذا الشأن؛ ومن ثَمَّ توجهت إلىٰ صحيفة الأهرام، وأجريت بحثًا في الأرشيف فتوافر لديَّ خبران متعلقان بمسرحية (**حسام الدين الأندلسي**)، ففي الصفحة الثانية من العدد الصادر في 24 أغسطس 1903 نشر ما يلي: "**أَلَّف حضرة الشاعر المطبوع البليغ والكاتب الفاضل الشيخ مصطفىٰ صادق الرافعي -الكاتب في محكمة مصر الشرعية- رواية تمثيلية سمَّاها رواية حسام الدين الأندلسي، وقد تصفَّحناها فإذا هي مكتوبة بعبارة بليغة ومدبَّجة بأشعار شائقة، وقد طبعها مؤلفها طبعة [....]**[1] **وجعل ثمنها (5) قروش صاغ؛ فنُثنِّي علىٰ حضرته أطيب الثناء**"[2].

ويبدو أن الرافعي أعاد نشر الرواية بعد ذلك بشهرين، وقام بتخفيض سعرها لتباع بثلاثة قروش بدلا من السعر الأول وهو خمسة قروش[3]

(1) الكلمة غير واضحة إن كانت (الثانية) أو (الثالثة).

(2) الأهرام 24 أغسطس 1903 ص 2

(3) جاء في الخبر الذي نشرته الصحيفة بتاريخ 30 أكتوبر 1903 ص 2: "طالعنا

بعد رحلة شاقة ومضنية من البحث في مظانِّ المكتبات والكتب تبيَّن لي أنَّ (**حسام الدين الأندلسي**) نُشرت في عدة طبعات منها:

الطبعة الأولىٰ: نُشرت بالمطبعة العمومية سنة 1314 هـ وهو ما يوافق 1896 أو 1897م[1]

الطبعة الثالثة: طُبعت بالمطبعة العمومية بمصر سنة 1321هـ الموافق سنة 1903م، وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها

طبعة أخرىٰ: طبعة الواعظ سنة 1903م التي أشار إليها

رواية حسام الدين الأندلسي الشهيرة تأليف حضرة الفاضل الشيخ مصطفىٰ الرافعي؛ فإذا بها جديدة بمطالعة كل أديب، وتُباع بمكتبة أمين أفندي هندية بثلاثة قروش صاغ بدلا من خمسة قروش تسهيلا علىٰ الراغبين".

(1) وقفنا علىٰ هذه المعلومة بعد الانتهاء من ضبط النَّص وأثناء كتابة هذه المقدمة، حيث أخبرني الصديق الدكتور ياسر غريب أن أحد الباحثين قد نشر المسرحية في مجلة جذور الصادر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة، وبالرجوع إلىٰ الشبكة العنكبوتية وجدت أن الأستاذ مصطفىٰ يعقوب عبد النبي قد قام بنشرها في العدد (23) مجلد (10)، الصادر في صفر 1427 هـ = مارس 2006م، وقبل أن يصلني هذا العدد من المجلة قرأت مقدمة الباحث منشورة علىٰ أحد المواقع الأدبية، وتعليقًا عليها نشر أحد المهتمين بتراث الرافعي – واسمه عاصم– صورة لغلاف طبعة يقول إنها الأولىٰ مكتوبا عليه "تأليف حضرة الأديب الفاضل السيد الشيخ مصطفىٰ سعيد الرافعي الطرابلسي المتداول تشخيصها جوق حضرة الأديب إسكندر أفندي فرح". راجع الرابط: http://www.wadod.org/vb/showthread.php?t=231

الأستاذ يوسف أسعد داغر، وسبقت الإشارة إليها.

الطبعة الرابعة: المنشورة بمطبعة الواعظ بمصر سنة 1322-هـ 1905م[1].

وليس بين أيدينا الآن ما يؤكد أنَّ المسرحية قد نُشرت منذ العام 1905م إلىٰ الآن سوىٰ النشرة التي أشرنا إليها في الحاشيتين السابقتين، إلا أنها جاءت ناقصة صفحتين هما 93 و94 كما ورد في هامش المجلة التي نشرت المسرحية، فضلا عن أن الباحث لم يحقق نسبة المسرحية إلىٰ صاحبها، ولم يقم بعزو الأبيات إلىٰ قائليها، ولم يُجر أي ضبط للنص أو يثبت أية فوائد علىٰ حاشيته، كما لم تكن مقدمته ضافية وكاشفة بالقدر المطلوب.

وماذا عن موعظة الشباب؟!

كنتُ قد ظنَنتُ في بادئ الأمر- وإنَّ بعض الظنِّ إثمٌ- أنَّ (**حسام الدين الأندلسي**) و(**موعظة الشباب**) مسرحية واحدة؛ لكن الأبيات التي أوردها الرافعي في ديوانه من (**موعظة الشباب**) كانت كفيلة بأن تقطع الطريق علىٰ هذا الوهم، فبالرجوع إلىٰ هذه الأبيات تبين خلو (**حسام الدين الأندلسي**)[2] منها، وهو ما يعني

(1) وهي الطبعة التي اعتمد عليها الأستاذ مصطفىٰ يعقوب عندما أعاد نشر المسرحية، وقد حال ضيق الوقت دون مقابلة المتن علىٰ هذه النسخة.

(2) انظر: ديوان الرافعي، ص 469.

أنهما روايتان مختلفتان في المضمون، وإن وصلتْ إحداهما إلينا وغابت الأخرىٰ إلىٰ أجل نرجو أن يكون قريبًا.

لكن لماذا أهمل الرافعي مسرحياته؟!

كان من عادة الرافعي أن يروِّج لكتبه سواء في مقالاته أو في كتبه المنشورة، وفي (**وحي القلم**) إشارات من مثل هذه، لكن ذكر المسرحية لم يَجْر في أحد كتبه باستثناء ما ورد في ديوانه -كما أسلفنا- عن (**موعظة الشباب**) وهو الأمر الذي يُثير العجب والفضول معًا.

وأَظنُ أنه لم يُرد الحديث عن هذه المسرحية لكونها من بواكير ما كتب، فبالنظر إلىٰ الطبعة الأولىٰ نجد أنه نشرها وعمره ما بين 16- 17عامًا -(**وُلد سنة 1880**)- وهو الأمر الذي ينبغىٰ ألا نغضَّ عنه الطرف عند النظر إلىٰ المسرحية وتقييمها، ومعلوم أنه كثيرًا ما يتغاضىٰ الكُتَّاب بعد نُضْجهم عن أعمالهم الأولىٰ باعتبارها من التجارب الساذجة قبل أن تصقله الخبرات ويتقن فنون الكتابة، ويتمرس في مجال الإبداع والتأليف.

زد علىٰ ذلك أنه كان من العيب -آنذاك- أن يكون الأديب روائيًا أو مسرحيًا أو قاصًا، ولا أدلَّ علىٰ ذلك من أنَّ الأستاذ (**محمد حسين هيكل**) لم يكتب اسمه علىٰ الرواية الأشهر (**زينب**) خوفًا من النقد، وأظنُّ أنَّ ذلك هو نفس السبب الذي دفع

الرافعـي إلـىٰ أن يوقـع الروايـة باسـم (**مـصطفىٰ سـعيد الرافعـي الطرابلسي**) وليس باسم (**مصطفىٰ صادق الرافعي**) كما اعتاد بعد ذلك، وهو نفس الأمر الذي اتبعه في كثير من أعماله المبكرة التي آمل أن أُقدِّمها للقارئ الكريم عن قريب بعد تحقيقها ودراستها ضمن الأعمال المجهولة له.

ونكاد نقطع أنَّ الرافعي لم يجد نفسه في كتابة المسرحية كما لم يجدها في كتابة القصة[1]، فإذا كان توفيق الحكيم قد بدأ حياته شاعرًا، ثم مسرحيًا، فقاصًا؛ فإن الرافعي قد بدأ هو الآخر شاعرًا، فمسرحيًا، فقاصًا، إلىٰ أن انتهىٰ به العمر كاتبًا من رواد المقال في العالم العربي. فلا غرو إذن أن تغيب الجهود المسرحية للرجل عن أكثر مَنْ أرَّخوا لحياته لا سيما تلميذه العريان، ومن ثم غابت عن أعين النُّقاد ومؤرِّخي المسرح في مصر والعالم العربي.

ولماذا نعيد نشرها الآن؟!

لعل سائلا يسأل: فإذا كان الرافعي نفسه لم يَحتف بتجربته المسرحية فلماذا نُصرُّ علىٰ إعادة تقديمها في الحقل الأدبي؟!

والواقع إنَّ هذا التساؤل وجيهٌ ومُتوقع من القارئ الواعي؛ والإجابة عليه يسيرة، فإننا نرمي من وراء نشرها إلىٰ وضع

---

(1) لنا دراسة وجيزة عن (قصص الرافعي واستلهام التاريخ) رصدنا فيها اتكاءه علىٰ التاريخ والتراث في إبداعاته النثرية، وسوف تصدر قريبا -بمشيئة الله- ضمن كتاب (مدخل إلىٰ أدب الرافعي).

الرافعي علىٰ خريطة المسرح العربي بعد كل هذا الغياب، علىٰ اعتبار أن هذه المسرحية سابقة علىٰ كثير من المسرحيات التي راجت بوصفها من بواكير المسرح العربي والمصري.

نحن لا نقول إن الرافعي قد فاق أقرانه في الأدب المسرحي، ولا أن هذه المسرحية من عيون الأدب؛ وما ينبغي لنا وما نستطيع أن نزعم ذلك؛ لكن الإنصاف يقتضي أن نذكر الرجل ولو بالنقد، فيكفيه أنه طرق عالم المسْرَح مستلهمًا التراث العربي وقت أن كان المسرح مفتونًا بالترجمات الغربية التي لا تتفق مع القيم المجتمعية.

ولعل من فوائد هذه النشرة الجديدة أنها ستُضيف إلىٰ شعر الرافعي ما لم يتضمنه ديوانه، وإلىٰ ديوان الشاعر الكبير محمود سامي البارودي الذي قدَّم لهذه المسرحية كما قدَّم لديوان (**النظرات**) قبل ذلك، فضلًا عن الكشف عن ثقافة الرافعي اللغوية والأدبية في تلك السنّ المبكرة، كما تُبرز نموذجًا يُحتذىٰ به بين الشباب الجاد.

على هامش المسرحية

كنتُ آليتُ علىٰ نفسي ألا أطيل هذا التقديم حتىٰ لا يبعث الملل والسأم في نفس القارئ العزيز؛ غير أنَّ أمورًا ينبغي الإشارة إليها عند الحديث عن هذه المسرحية، منها:

1) وصفَ الرافعي روايته بأنها «**تشخيصية، أدبية، غرامية، حماسية**» ويبدو أن كلمة تشخيصية هنا للتفرقة بينها وبين القصص التي لا تتضمن حوارًا كحوار المسرح، أو التي لا تقبل التمثيل إلا بعد كتابة حوار، كما حشد المسرحية بالأبيات الغزلية والحماسية وأكثر فيها من الاقتباس من الشاعر العربي الأشهر عنترة بن شداد الذي جمع بين العشق والفروسية، وهو ما يتفق مع جو المسرحية.

2) **التقريظات**: قدَّم الشاعر **محمود سامي البارودي** لهذه المسرحية بعدة أبيات نظمها، ولم أعثر عليها في ديوانه -علىٰ النحو الذي ذكرته في حاشية تلك الأبيات- ولم تكن تلك هي المرَّة الوحيدة التي قدم فيها أعمالا للرافعي كما سبقت الإشارة، وقدم للمسرحية أيضًا الأستاذ **أحمد محمد القوصي** -المدرس بالمدارس الأميرية آنذاك- بمقطوعة شعرية أخرىٰ.

3) **الجنس الأدبي**: جريًا علىٰ العادة المتبعة في ذاك الزمن، فقد أطلق الرافعي علىٰ هذا العمل اسم (**رواية**)، حيث جرت العادة حينها علىٰ تسمية القصة والمسرحية، وكذلك الأفلام -فيما بعد- نظرًا لارتباط المسرح بالأعمال الهزلية، وبطبيعة الحال كان ذلك مستساغًا قبل فكِّ الاشتباك بين هذه الأجناس الأدبية واستقلال كلٍ منها عن الأخرىٰ بحدود فاصلة.

علىٰ أن هناك إشكالية أخرىٰ لكون المسرحية حائرة بين الشعرية والنثرية، فهي وإن -طغىٰ عليها الشعر- ليست شعرية بالنظر إلىٰ ما كتبه شوقي وغيره؛ ولا نثرية بالنظر إلىٰ كلاسيكيات المسرح النثري، ولكنها مزجت بين النثر والشعر في ضَفِيرَة لم أجد لها شبيهًا.

4) **الأحداث**: تدور أحداث المسرحية المؤلفة من ستة فصول في أماكن مختلفة بالأندلس وبلاد المغرب في العصور القديمة، لكنها لم تحدد المكان بدقة، ولا الفترة الزمنية التي يفترض وقوع الأحداث فيها، وتصور جانبًا من جوانب الصراع في حياة البشر.

5) غلبت اللغة الفصحىٰ علىٰ أسلوب الرافعي، اللهم إلا في بعض المواضع النادرة التي استعمل فيها العامية كما الحوار بين نجاح ونسيب، من ذلك قوله: "**رُوحْ وخَلِّيني بغُلْبي**"، ويبدو أنه كان متأثرًا باللفظة القرآنية منذ صغره، فقد اقتبس منها في مواضع كثيرة كقوله علىٰ لسان الأمير حسام الدين لوالده: "**وسأشرح لجلالتكم لتحكم فيه بما أراك الله**"، وكقول الملك للخدم: "**خذوه فغلوه**"، وأجرىٰ المؤلف علىٰ النثر ما يُجرىٰ علىٰ الشعر من الضرورات كقول غصوب عن الغضبان: "**وأصبح فؤاده في**

حبها هائم"، وكقوله أيضًا لطارقة الليالي: **"لا تفعل ذلك يا طارق الليال"**؛ فجاء الكلام مسجوعًا علىٰ طريقة العرب الأقدمين، فبدا متكلّفًا في بعض المواضع، وإن دلَّ علىٰ دراية المؤلف بلغة العرب، وأيامهم، وأمثالهم، وعاداتهم علىٰ النحو الذي سيلمسه القارئ في ثنايا هذا العمل.

6) جاء الحوار مطولا بشكل مبالغ فيه في مواطن لو أوجز فيها وكثَّفَ لكان أفضل، والعكس في مواضع أخرىٰ، وهو ما سيراه القارئ بنفسه.

7) من الملاحظات المهمة التي تتوجب الإشارة إليها تلك التي أوردها الأستاذ مصطفىٰ عبد النبي في تقديمه للرواية، حيث ذهب إلىٰ القول بأن الرافعي قد تأثر **بأحمد أبو خليل القباني**[1] الذي اتجه تلقاء التاريخ العربي والإسلامي بعد أن ظلت المسارح مقتصرة علىٰ الترجمة عن لغات أجنبية مختلفة، فمثلت فرقته مسرحيات مثل: (**عنترة**) و(**ولّادة بنت المستكفي**) و(**الحاكم بأمر الله العباسي**)[2] وغيرها من المسرحيات التي اتخذت من التاريخ مصدرًا لها.

---

(1) مجلة جذور، مرجع سابق، ص 280.

(2) انظر: تاريخ المسرح، ص 157.

في خدمة النص

كنتُ مُخيرًا بين أمرين في تعاملي مع النصِّ: فإما أن أورده كما هو - مثلما فعل الأستاذ مصطفىٰ عبد النبي- مع التوسع في التقديم والتعريف بالمسرحية بما يتناسب مع قيمتها التاريخية، وإما أن أضيف لها فوائد لغوية وأدبية، فكان أن اخترت الثانية حتىٰ تتم الفائدة للقارئ العام والمختص، ومن ثم قمتُ بشرح الكلمات الغامضة وتصحيح ما وقع فيها من أخطاء مطبعية، كما عزوت الأبيات إلىٰ قائليها، وما سكتُّ عنه من العزو فالأرجح أنه من منظوم الرافعي ما لم يثبت غير ذلك فيما بعد.

وبعد.. فإنني لم أقدِّم هذا العمل تمجيدًا للرافعي ولا ترويجًا لبضاعته؛ وإنما هو من باب الإنصاف وإحقاق الحق، وإعادة الأمور إلىٰ نصابها، والمراد من نشر هذا العمل المبكر هو وضع الرجل علىٰ خريطة المسرح وإتاحته للدارسين باعتباره من أوائل من تنبَّهوا إلىٰ أهمية تعريب النصوص المسرحية واستلهامها للتراث العربي والإسلامي.

وأخيرًا؛ فالشكر واجبٌ موصولٌ لثُلَّةٍ من الأفاضل الأولين الذين شجعوني علىٰ إخراج هذا العمل إلىٰ النور، وكانت توجيهاتهم خير معين، وأخصُّ بالذكر والناقدين الدكتور ياسر غريب والدكتور أحمد بلال كريم، والدكتور أيمن عيسىٰ،

والدكتور أحمد سليمان، والأصدقاء محمد عرفة، ومدحت كساب، وإسلام الفقي، والمهندس ياسر طلب، ومن الأدباء الرافعيين: السعودي النابه علي الحضريتي، والسوري عبدالله نفاخ، وأحمد موسىٰ، ومصطفىٰ الجندي، ووائل حافظ، وغيرهم كثير من أصحاب الفضل الذين يضيق المقام عن ذكرهم، وإلىٰ الأخوين أحمد ومحمد تركي اللذين حبَّبا إليَّ الأدب ووصَلَاني بأسبابه.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

وليد عبد الماجد كساب
القاهرة – مدينة نصر
الثلاثاء- 29 ربيع أول 1436 هـ
20 يناير 2015 م



قال مقرظًا هذه الرواية تاج الفضلاء، وإمام الشعراء صاحب السعادة:

«محمود سامي باشا البارودي حفظه الله»

لروايـــةِ ابــنِ الرافعـــيِ مَلاحــةٌ
تَـــصبو إليهـــا أنفــسٌ وعُيُـــونُ

بَـــسَمَتْ معانيهـــا فهُـــنَّ أَزَاهـــرٌ
وزَهَـــتْ مَبَانَيهـــا فَهُـــنَّ غُـــصُونُ

تصبي الحليمَ فيستطيرُ بِحسنِها
طَرَبًا وتُلهـي المَرْءَ وهْوَ حَزِينُ

جـــادَتْ قريحتُـــهُ بِـــدُرِّ بيَانِـــهِ
والبحـــرُ فِيـــهِ اللؤلـــؤُ المَكْنُـــونُ

فَلْيَتْلُهـــا أبنـــاءُ مـــصر فإنهـــا
أدبٌ يـــروقُ بِحُـــسنِهِ ويـــزينُ[1]



(1) هذه الأبيات غير مثبتة في ديوان البارودي.

قال حضرة صديقي الفاضل والأستاذ الكامل الشيخ أحمد محمد القوصي المدرس بالمدارس الأميرية مؤرخًا طبعتها الأولىٰ:

مَنْ كَانَ سَامِي الفِكْرِ يُظْهِرُ ما خَفَا
وأَخُو العَزِيمَةِ لا يُحْبُّ سِوىٰ الوَفَا
ورَضِيع أَلْبَانِ الفَضَائِلِ فَاضِلٌ
ومحاول العَلْيَاءِ دَامَ مُشرّفا
ويرىٰ (حسامُ الدينِ) قبضةَ كفِّهِ
ولسانَهَ القوالَ مهما استُوقِفا
ورِوَايَةُ المعْنَي إليهِ رُؤْيَةٌ
وَلِكُلِ مَعْنَىً فِي المَعَانِي اسْتَشْرَفَا
فَنَظَرْتُ في تلكَ الخِصَالِ فَلَمْ أَجِدْ
رَجُلًا لَهَا إلا هُمَامًا (مُصْطَفَىٰ)
هُو (رَافِعِي) ولَهُ السِّيَادةُ محتد
والفَرْعُ بِالأَصْلِ الرَّفِيعِ تَشَرَّفَا
فَهُو الذي أَبْدَىٰ أَجَلَّ رِوَايَةٍ
رَقَّت وَرَاقَتْ بَهْجَةً وتَلَطُّفا

أَنْعِـمْ بحُـسْنِ رِوَايَـةٍ تَـرْوِي الظَّمَـا
وبهـا الأَحِبَّـةُ يَهْتَـدُون إلـىٰ الـصَّفَا

لـو كـانَ شَـاهَدَهَا البَـدِيعُ بِنَفْـسِهِ
لَغَـدَىٰ وَضِـيعًا تحَـتَ أَقْـدَامِ الـصفا

وإِذَا رَأَي الـصَّابِي مَجَـامِعَ شَـهْدِهَا
لَجَنَـىٰ حَـلَاوَةَ لُطْفِهَـا، وبِهَـا اكْتَفَـىٰ

فَـإِذَا رَأَيْنَـا أَيَّ شَـخْصٍ عَابَهـا
حَـسَدًا لَهَـا؛ قُلْنَـا عَلَـىٰ الـدُّنْيَا العَفَـا

ولِحُـسْنِهَا الطَّبْـعُ الرَّقِيـقُ مُـؤَرِّخٌ
صَفْو المَعَـانِي فِـي رِوَايَـةِ (مُـصْطَفَىٰ)



الفصل الأول

(تُرفع الستارة عن قصر الوزير حازم أحد وزراء ملك الأندلس، وهو عاشق بنت الملك الأميرة سلمىٰ وهو ينشد هذه الأبيات).

حازم لنفسه:

لَـوْلَاكِ يـا فِتْنَـةَ العُـشَّاقِ لَـوْلَاكِ
مَـا بَـاتَ طَرْفِـي كَطَـرْفِ الـنَّجْمِ يَرْعَـاكِ
ولا غَدَتْ مُهْجَتِي فِي الحُبِّ ذَائِبَةً
تَرْوِي حَدِيثَ الجَوَىٰ[1] عَنْ لَوْعَةِ الشَّاكِي
ولا هَمَتْ مُقْلَتِي يَروىٰ مُسَلْسلُهَا
صـحيحَ حُكـمِ الهَـوىٰ عـنْ دمعـةِ البَـاكي
يا بِنْتَ مَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
أَنَـا الـوَزِيرُ الـذي قـد رَاحَ يَهْـوَاكِ
يـا ظَبْيَـةً بِـصَمِيمِ القَلْـبِ مَرْتَعُهَـا
رَاعِـي المُحِـبَّ فعـيْنُ اللهِ تَرْعَـاكِ

(1) الجَوَىٰ: الحُرْقة وشدَّة الشوق.

رِفْقًا بِصَبِّكِ يا سَلْمَىٰ فَقَدْ فَتَكَتْ

بِالقَلْبِ مِنهُ، وَقَاكِ اللهُ، عَيْنَاكِ

قَدْ طَالَ هَجْرُكِ يا سَلْمَىٰ بِلا سَبَبٍ

رُحْمَاكِ مِنْ ذَا الجَفَا والصَّدِّ رُحْمَاكِ

آهٍ! قد تملك حب سلمىٰ قيادي، وأحرمني لذيذ رقادي واستلب لُبِّي، وبرح بسويداء قلبي، وكلما ازددتُ فيها محبةً وَهَوَىٰ؛ زادَتْني علىٰ حكم الغرام صدًّا ونَوَىٰ[1]

فما أنا بالسَّالِي[2]، ولا هي بالراحمة، آهٍ!

إِذا هِيَ زادَت في النَّوىٰ زادَ في الهَوىٰ

فَلا قَلبُهُ يَسلو وَلا هِيَ تَرحَمُ[3]

وكَمْ رُمْتُ كِتمان وَجْدِي والولوع، فأظهرته- بدون اختياري- ببِّنات الدموع

هَيْهَاتَ أَنْ تَخْفَىٰ عَلَامَاتُ الهَوَىٰ

كَادَ المُرِيبُ بِأَنْ يَقُولَ خُذُونِي[4]

---

(1) النَّوىٰ: البُعْد.

(2) السَّالي: النَّاسِي أو التارِك.

(3) ديوان مجنون ليلىٰ، ص187.

(4) البيت لابن سهل الأندلسي، وقد ورد في ديوانه "لا تخفىٰ" بدلا من "ما تخفىٰ"، راجع ديوانه ص 223.

فإلىٰ متىٰ وأنا أُقَاسِي في حُبِّها مَا أُقَاسِي، ولا يَرِقُّ لي في الغرام قلبُها القاسي؟!

تمرحُ في النعيمِ وتلعبُ، وأنا علىٰ جمر الهوىٰ أَتَقَلَّبُ!

تَعْبَثُ بِقَلْبِي في يَدَيْهَا، ولا تَنْظُرُ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ لمَا لديها!

كعصفورةٍ في كَفِّ طِفْلٍ يُهينُها
تُقَاسِي نِزَاعَ الموتِ والطفلُ يلعبُ
فَلَا الطفلُ ذُو عَقلٍ يَرقُّ لِحَالِها
وَلَا الطَّيرُ مَطلوقَ الجَنَاحِ فَيَذْهَبُ[1]

آهٍ! قد عقد الغرام لساني، وقيَّد الحب بيد الولوع جناني!

وأجرىٰ الوَجْد من أفق الأجفان دموعي، وأطال الهجران في الحب صبابتي وولوعي

وأَنْحَلَ العشق جسمي، وسرىٰ في لحمي ودمي

آهٍ! ما أقسىٰ قلبك يا سلمىٰ! وما أشدك عليَّ جورًا وظلمًا!

أَوَّاهُ قد أودت محاسنها بقلبي، واصطادت بشَرَكِ الخَفَرِ[2] والدلال لُبِّي!

---

(1) في ديوان المجنون، ص 38:

كعصفورة في كف طفل يزمُّها — تذوقُ حياض الموتِ، والطفل يلعب
فَلَا الطفلُ ذُو عَقلٍ يَرقُّ لِما بها — وَلَا الطَّيرُ ذو ريش يطير فَيَذْهَبُ

(2) الخَفَرُ: الحَيَاء.

(شعر)

أَوْدَىٰ بِنَـا مِنْـكِ طَـرْفٌ كُلُـهُ حَـوَرٌ
وَقَادَنَــا لِهَــوَاكِ الــدُّلُّ[1] والخَفَـــرُ
في الفَـرْقِ منكِ، وفي نُـورِ الجَبِينِ بَـدَا
لِنَــاظِرِي النيِّــرَانِ: الــشمسُ والقمــرُ
يــا فِتْنَــةَ العاشِــقِينِ اللهَ في كَبَــدٍ
أَوْدَىٰ بهــا الغَالِبَــان: الــشوقُ والفكْــرُ
فقدْ وَهَىٰ جلدِي، واشْتدَّ بي كَمَدِي
وَحَـاقَ بـي المُـضْنِيَانِ[2]: الوَجْـدُ والـسَّهرُ
جُـودِي بِوَصْـلِكِ؛ إنِّـي مِنْكِ في شُغُلٍ
لــم يُلْهِنِــي المُلْهِيَــانِ: العُــوُدُ والــوَتَرُ
كَيْفَ التَّخَلُّصُ مِن تلكَ العُيـونِ وَلِـي
في لَحْظِهَـا الفَاتِكَـانِ: الغُـنْجُ[3] والحَـوَرُ؟!

آهٍ! كيف العمل فقد ضاقت بي الحيل؟!

قاتل الله الغرام؛ فكم أذل من كرام!

---

(1) الدُّل: الدَّلَال.

(2) في النسخة التي اعتمدنا عليها: "المضنياني" بزيادة الياء.

(3) الغُنْج: الدَّلال.

(ثم يضع يده علىٰ جبهته ويفتكر قليلًا)

نعم، لا بد لي من السعي وراء الاقتران بها، أو الاقتراب منها، لكنَّ الأَوْلىٰ أن أتولىٰ بنفسي قضاء أمري؛ فإنه مَا حَكَّ جسمي مثل ظِّفْري.

(ثم يخرج)



المنظر الثاني

(تُرفع الستارة عن ملك الأندلس وهو في قصره المُلُوكاني يُنشد هذه الأبيات)

الملك لنفسه:

لكَ الحمدُ يا مولايَ في السرِّ والجَهْرِ
فلستُ أَفِي يومًا لِنِعْماكَ بالشكرِ

لقد جُدْتَ لي بالمُلكِ فَضلًا ومِنَّةً
وقَلَّدَّتَنِي الأحكامَ في النَّهْيِ والأَمْرِ

فَشَيَّدْتُ رُكْنَ العدلِ شرقًا ومَغْرِبًا
وأَوْرَفتُ[1] ظِلَّ الأمنِ في البرِّ والبحرِ

وسِرْتُ علىٰ نَهْجِ السَّدادِ بِهِمَّةٍ
تَقْصُرُ عن إدراكِها هِمَّةُ الدَّهْرِ

وأَحْكَمْتُ أحكامَ البلادِ بحكمةٍ
مداركُها تَسْمُو علىٰ الأَنْجُمِ الزُّهْرِ

(1) في النسخة: أورقت.

لـكَ الحمـدُ في بـدءِ النِّظـامِ وختْمِـهِ
يلـــوحُ بـــهِ التوفيـــقُ بـــالعزِّ والنَّـــصْرِ

حمدًا لمن رفع بعض الإنسان علىٰ بعض، وجعلني خليفة علىٰ عباده في الأرض.

ومَلَّكَني تلك البلادَ الأندلسية، ووفَّقني للقيام بواجب حقوق الرعية.

وشكرًا لكَ اللهمَّ يا مالك الملوك؛ علىٰ أن منحتني العدل؛ فأرضيتُ المالكَ والمملوكَ.

سبحانك!

تعاليت في ملكك وقدسك.

لا نحصي ثناء كما أثنيتَ أنت علىٰ نفسك.

أَمان للملك: مولاي، إنَّ وَلَدَكَ الأمير حسام الدين بالباب.

الملك لأمان: فليدخل.

الملك لنفسه: ليتَ شعري ما الذي جرىٰ؛ حتىٰ اقتضىٰ مجيء ولدي حسام الدين مبكرًا؟!

يدخل حسام الدين ويقول:

حسام الدين للملك:

تَـــدِينُ إليـــكَ يـــا مَلِـــكَ الزَّمَـــانِ

مُلُـــوكُ الأرضِ مِـــنْ قَـــاصٍ ودَانِي

بِعَـــدْلِكَ قَـــدْ غَـــدَا ثَغْـــرُ المعَـــالِي

بَـــسِيمًا والرَّعِيَّـــةُ في أَمَـــانِ

الملك لحسام الدين: مرحبًا بولدي حسام الدين (**ويُشير إليه فيجلس**) ما الذي دعاك للحضور بين يدي في مثل هذا الوقت يا قرة عيني؟!

حسام الدين للملك: إنَّ قُدُومي عليكَ، وتَشَرُّفي بالمثُولِ بينَ يديكَ، علىٰ خلاف المعتاد هو لأمر اقتضاه، وسأشرحه لجلالتكم لتحكم فيه بما أراك الله.

وهو أنني كنتُ البارحةَ مع نَدِيمي (نَدِيم)، صاحب الذوق والفكر السليم، فأخذنا نتجاذب أطراف الكلام، ونتحادث في شؤون الأنام، فأفضىٰ بنا الحديث والحديث شجون، لذكر السياحة وما يكتشفه السائحون، من مشاهدة الآثار القديمة، والوقوف علىٰ عجائب المصنوعات العظيمة، فمالت بي النفسُ والنفسُ طمَّاحة، لمفارقة الأوطان ومواصلة السياحة؛ لكي أفوز بمشاهدة تلك المشاهد، وأقف علىٰ غرائب هاتيك المعاهد.

وحينما انبلج نور الفجر؛ تشرَّفتُ بالحضور لديك يا ملك

العصر؛ لأُطلِعَكَ علىٰ ما خالج صدري، وأوضح لك جلية أمري، حتىٰ تأذن لي بالمسير، بدون تعويق ولا تأخير.

الملك لحسام الدين: اعلم يا ولدي أنَّ السفرَ إنما جُعل لأبناء التجارة، لا لأولاد الخلافة والإمارة، والذي يدعو أولئك لمعاناة الأسفار؛ إنما هو حب اكتساب الدرهم ومحبة الدينار.

ولتتحقَّق يا بُني أنَّ السفر سفر، وأن النقلة نقلة، وأنَّ الغُربةَ كربةٌ، والفُرْقَةَ حُرْقَةٌ!

وأن السلامة في الإقامة، وأن محبة الأوطان من أعظم دلائل الإيمان، وأنَّ الغريبَ ذليلٌ ولو كان ذَا ذيلٍ طَوِيلٍ!

لا تَغْتَرِبْ يا حُسامَ الدِّينِ عن وَطَنٍ
إنَّ الغريبَ ذَلِيلٌ أَيْنَمَا كَانَا[1]

فاصْرِفْ عنكَ يا ولدي هذه الأوهام، وعِشْ بين قومك في هناءٍ وسلام.

حسام الدين للملك: مولاي، سَبَقَ السَّيفُ العَذَلَ[2]،

---

(1) لزهير بن جناب الكلبي، قوله: "إن الكريم كريم أينما كانا". الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، 19/ 32.

(2) "سَبَقَ السَّيْفُ العَذَلَ" من أمثال العرب. قاله ضَبَّة بن أدّ لما لامه الناسُ علىٰ قتله قاتلَ ابنه في الحرم... وقيل: لخزيم بن نَوْفل الهَمْدَاني. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني 1/ 328.

واستحكمت حلقات العمل؛ فأْذَنْ لي إذنْ بالرحيل، وعلىٰ الله قصد السبيل.

الملك لحسام الدين: اعلم يا ولدي أنَّ مَنْ أُعجِبَ برأيهَ ضلَّ، ومن استغنىٰ بعقله زلَّ، فلا تقُلْ بغير تفكير، ولا تعمل بغير تدبير. وعليك أن تُسدد سهامَ رأيك؛ لكي تصيب الغرض في رميك، واستشر أولي الألباب في أمورك، ولا تستبد كالجهلاء برأيك؛ فتقع في حبائل غرورك.

إِنَّ اللَبيبَ إِذا تَفَرَّقَ أَمرُه
فَتَقَ الأُمورَ مُناظِرًا وَمُشاوِرا
وَأَخو الجَهالَةِ يَستَبِدُّ بِرَأيِهِ
فَتَراهُ يَعتَسِفُ الطريق مُخاطِرا[1]

فإن كان لديك لتفضيل السفر علىٰ الحَضَرِ براهين، فأت بها إنْ كنت من الصادقين.

حسام الدين: مولاي إن لديَّ من الدلائل القاطعة، والحجج الساطعة، من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وأمثال عربية، وأبيات شعرية، ما يُثبت تفضيل السفر، ويُنِيلُني القصد والوَطَر. قال مالك

(1) البيتان للشاعر محمود بن حسن الوراق، راجع ديوان محمود الوراق ص 112.

يوم العرض: (**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ...**) [1].

وجاء عن سيد البشر: «**لو يعلمُ الناسُ رحمةَ اللهِ بالمسافرِ لأصبحَ الناسُ علىٰ ظهرِ سَفَرٍ**»[2].

وقال أصحاب التجاريب: إنَّ السفر مرآة الأعاجيب[3]. وهو يُسفِر عن أخلاق الرجال، وبه يُرتَقَىٰ من حَضِيضِ النقصِ لأوجِ الكمال. ولولا أن الشرف في النقل، لم تبرح الشمس دَارَةَ الحَمَل.

إنَّ العُلَىٰ حَدَّثتني وهي صادقةٌ
فيما تُحدِّثُ أنَّ العِزَّ في النُّقَلِ
لو أنَّ في شَرَفِ المأوىٰ بلوغَ مُنَىً
لَمْ تَبْرَحْ الشمسُ يَوْمًا دَارَةَ الحَمَلِ[4]

ولولا سَري البدرِ لم تكمل منه المحاسن، ولولا مُكثُ الماء في الإناء لم يَغْدُ آسن. ومحبة الأوطان معجزة ظاهرة، وكم في

---

(1) وردت هذه العبارة القرآنية أربع مرات: الأنعام الآية 11، والنمل 69، والعنكبوت 20، والروم 22.

(2) هذه الرواية لا تثبت نسبتها للرسول (صلىٰ الله عليه وسلم)، وهي تنسب أيضًا لعلي بن أبي طالب. انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، 5/ 383.

(3) يقول الحريري: "حكىٰ الحارثُ بنُ همّام قال: كنتُ أخذْتُ عنْ أولي التّجارِيبِ. أنّ السّفَرَ مِرآةُ الأعاجيبِ"، المقامات، الحريري، 1/ 361.

(4) ديوان الطغرائي ص 55.

السفر من حكم باهرة.

حُبّكَ الأَوْطَانَ عَجْزٌ ظاهرٌ

فاغتربْ تَلْقَ عَن الأهلِ بَدَلْ

فبمُكثِ الماءِ يبقىٰ آسنًا

وسُرىٰ البدرِ بهِ البدرُ اكتملْ[1]

وربما أسفَرَ السفرُ عن الظَّفَر، وتعذَّر في الوطن قضاءُ الوَطَر.

ولا شك أنَّ بملازمة الديار، لا يَتَسَنَّىٰ للمرءِ أن يقفَ علىٰ عجائبِ الآثارِ وغرائبِ الأخبارِ.

إذا لَزمَ الناسُ البيوتَ رَأيتَهُم

عُمَاةً عن الأخبارِ خُرْقَ المَكَاسِبِ[2]

الملك لحسام الدين: كَفَىٰ كَفَىٰ يا ولدي حسام الدين، فقد ظهرَ صبحُ الحقِّ اليقين؛ فَقُمْ واذهب الآن، وأْتِني بعدَ بُرْهَةٍ من الزمان. (**فيخرج**)

الملك لأمان: يا أمان، عليَّ بوزيري الأمين، ووزيري حازم.

أمان للملك: أمرك مولاي.

(1) البيتان منسوبان لابن الوردي، انظر: الكشكول، الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، 1/ 234، وديوان ابن الوردي ص 280.
(2) ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، ص 196.

اقْــرِنْ برأيِــكَ رَأْيَ غَيْــرِكَ واسْتَــشِرْ
فــــالحقُّ لا يَخْفَــــىٰ عَلَـــىٰ اثنـــين
والمـــــرءُ مِـــــرْآةٌ تُرِيِـــــهِ وَجْهَــــهُ
ويَـــرَىٰ قَفَـــاهُ بِجَمْـــعِ مِـــرْآتَيْن[1]

نعم..

لابد قبل المساورة من تقديم المشاورة، فإن من استشار أولي الألباب؛ نزل في أبواب الصواب. وقد قيل: "ما خَابَ من استَخَارَ، ولا ندمَ من استشارَ"[2]. وبالحقيقة لا مُظَاهَرة، أوثق من المشاورة.

وقد جاء عن أشرف رسول: "استشيروا ذوي العقولِ"[3].

ولا شك أنَّ المستبدَّ برأيه علىٰ مداحضِ الزلل، وهيهاتَ هيهاتَ أن يبلُغَ الأَمَل، أو ينجح له عمل!

لا تَقْطَعَـــنّ بِـــرَأيِ نَفْـسِكَ واسْتَــشِرْ
مَـــنْ ذَاقَ أَحْـــوَالَ الزَّمَـــانِ ومَارَسَـــا

---

(1) البيتان لناصح الدين الأرجاني، الكشكول، 1/ 36.

(2) اللفظ ورد مرفوعًا من حديث أنس. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، 6/ 365، ولا يصح عن النبي ﷺ.

(3) أخرجه الدارقطنىٰ فىٰ الغرائب بلفظ استشيروا ذوىٰ العقول ترشدوا ولا تعصوهم فتندموا وقال حديث منكر.
انظر: تنزيه الشريعة المرفوعة، أبو الحسن علىٰ الكناني، 1/ 215.

كَـــمْ مُـــسْتَبِدٍ بالـــذي يَبْـــدُو لَـــهُ

وَمُـــصَوِّبٍ رأيًـــا رَآهُ ومَـــا رَسَـــا[1]

(يدخل الوزيران)

أمان للملك: عليكَ سلامُ اللهِ يا مَلِكَ العصر، ودَامَ لك الإقبالُ بالعزِّ والنَّصْرِ!

حازم للملك:

سَـلَامٌ عَلَـىٰ فَخْـرِ الملـوكِ ومَـنْ لَـهُ

فَضَائل قَـدْ جَلَّـتْ عَـن العَـدِّ والحَـصْر

الملـك لهمـا: وعليكمـا الـسلام، والتحيـة والإكـرام، **(ويـشير إليهما بالجلوس)**

اعلما أني ما دعوتُكُما للحضور إلا لنبأٍ عظيم، وأمرٍ جسيمٍ قد أشغل بالي، وبَلْبَل بَلْبَالي[2]، وأدهش لُبِّي، وأَذْهَلَ قلبي، وضاق من أجله صدري، وصيَّرني في حيرةٍ من أمري، ألا وهو مفاجأة ولدي وثمرة كبدي الأمير حسام الدين بعزمه علىٰ مبارحة الديار، ومواصلة الأسفار. وقد أشرتُ عليه بالرجوع عما عزم عليه، وارتاحت نفسُهُ إليه، فما زادَه ذلك إلا حبًا فىٰ السفر، ورغبةً في

(1) الأساس في الاقتباس ص 81.

(2) البَلْبَال: الوساوس والهموم.

مفارقة الأوطان ونيله الوطر!

وحيث أنَّه وحيد وَلَدي، وولي العهدِّ من بعدي؛ لا يمكنني أن أجيبه لمطلوبه، وأسمح له بنوال مرغوبه؛ فأشيرا عليَّ بما تريانه حسن؛ فإن المستشارَ كما وَرَدَ مُؤتَمَن[1].

وابدأ أنت أيها الوزير الأمين، بما تراه في سفر ولدي حسام الدين.

أمين للملك: مولاي، إن ولدك غَذِيُّ تَرَف ورَبِيبُ شَرَف[2]، لا قدرة له علىٰ تحمُّل مشاقِّ الأسفار، ومعاناة قطع الفلوات والقفار، سيما وهو في زهرة شبابه، ووحيد المملكة فلا تَرم به يا مولاي في هوَّة التهلكة، فإنَّ الغريب غرضُ الأسقام، ورهينة الأيام، ويكفيه من الإهانة بين الإخوان، أن يُقال في شأنه غريب الأوطان.

وإنَّ اغترابَ المرءِ مِنْ غَيْرِ خلةٍ،
ولا هِمَّةٍ يَسْمُو لها لَعَجِيبُ
وَحَسْبُ الفَتَىٰ ذُلًا، وإنْ أَدْرَكَ المُنَىٰ
ونَالَ ثراءً، أنْ يُقَالَ غَرِيبُ[3]

---

(1) للحديث تخريجات عديدة، منها رواية أبو مسعود الأنصاري، أخرجها أحمد. انظر: مسند أحمد بن حنبل، 5/ 274.

(2) في المثل العربي: "أَتْرَفُ مِنْ رَبِيْب نِعْمَةً". مجمع الأمثال 1/ 150.

(3) وردت منسوبة إلىٰ منصور بن المسلم الحلبي، المعروف بابن أبي الدميك، =

هذا ما أراه، والأمر كله لله.

الملك لحازم: وأنت يا وزيري حازم، ما عندك من الرأي الحازم؟

(يلتفت حازم للجمهور ويقول: حانَ نيلُ المآرب، والدهر أبو العجائب)

حازم للملك: نعم، أنا لا أُنكرُ ما قاله وزيرك الأمين في شأن سفر ولدك حسام الدين، ولكن إنَّ للسفر يا مولاي فوائد جمة، وأقلها كما قيل: عُلو الهمة. وهو ميزان الأخلاق، ومعيار الرفاق.

وقد قيل: الحركةُ بركة، والتواني هلكة، والاغتراب اغتنام، والإقامة اغتمام، والغربة دُرْبَة، ومُلَازَمَةُ الأوطان قُرْبة، وتفريج الهموم واكتساب الفضائل، إنما يكونان بمفارقة الأهل والمنازل!

تَغَرَّبْ عَن الأَوْطَانِ في طَلَبِ العُلَا
وسَافِرْ؛ فَفِي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِد:
تَفَرُّجُ هَمٍّ، واكتسابُ مَعِيشَةٍ
وعِلْمٌ، وآدَابٌ، وصُحْبَةُ مَاجِد[1]

= = معجم الأدباء، ياقوت الحموي، 6/ 2730. ورواية البيت الأول: (مِنْ غَيْرِ فاقةٍ). وفي محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني، 4/ 614 ذُكِرَ البيت البيت الأول فقط غير منسوب. كما ورد البيتان جميعًا غير منسوبين أيضًا، في "المحاسن والأضداد"، للجاحظ، 1/ 80.

(1) البيتان لمحمد بن إدريس الشافعي، ديوان الإمام الشافعي، ص 58.

ويكفي المسافر أنه يرىٰ من عجائب الأمصار، وبدائع الأقطار، ومحاسن الآثار، ما يزيده علمًا، ويفيده فهمًا، بقدرة الله تعالىٰ وحكمته، ويدعوه إلىٰ شكر نعمته، وهو يَحُطُّ سَوْرَة الكِبْر[1]، ويبعث علىٰ طلب الذكر.

ولابد لمن يؤول إليه أمرُ المُلك من ركوب متون الفلوات والفلك، وجَوْبِ البَرَارِي والقِفَار، والجولان في شواسعِ الأقطار؛ حتىٰ يقف علىٰ عوائد البلاد، وتباين أخلاق العباد، ويعرف كيفية معاملة الملوك للرعية، ويطَّلع علىٰ سياستهم الداخلية والخارجية، ويكتشف آثارهم الغريبة، ويشاهد مصانعهم العجيبة، فإن ذلك في هذا الزمان يُعدُّ من ضروريات السلطان، فإذنْ سَفَر مولاي حسام الدين هو من الأمور الواجبة بيقين؛ فأذن له بالمسير، وعلىٰ الله التيسير.

الملك لحازم: نِعْمَ ما أشرتَ به يا وزيري حازم، فإنك كاسمِك في الأمور حازم، وإنِّي بما أبديتَه من فوائدِ السياحة، قد وجدتُ نفسي لإجابة ولدي حسامِ الدين مرتاحة.

الملك لأمين: وأنت يا وزيري الأول، هل رأيك باق علىٰ ما كان أمْ قَدْ تَحَوَّل؟!

أمين للملك: إني يا مولاي قد انشرح صدري إلىٰ سفره، وأرجو الله أن يكون عونًا له في غيابه وحَضَرِه.

---

(1) السَّوْرة: الشِدَّة.

الملك لأمان: يا أمانُ، اذهب بأسرع ما يكون، إلىٰ دائرة الحرم المصون، وادع للحضور إليَّ الملكة (أسما)، وأن يكون بمعيتها ابنتها الأميرة (سلمىٰ).

وحذار أن تخبرهما بشيء مما جرىٰ، فإنِّي معك اسمعُ وأرىٰ.

أمين للملك (بعد أن يلتفت إلىٰ جهة الباب):

ها هو يا مولاي حسام الدين قد أقبل، ووجهُهُ بمجالي البِشْرِ[1] يتهلَّل..

يدخل حسام الدين، ويقول:

حسام الدين للملك:

سَلامٌ عَلَىٰ المَوْلَىٰ يُقَدِّمُهُ العَبْدُ
سَلامٌ بِهِ الإقبالُ يُشْرِقُ والسَّعْدُ
لَعَلَّ مَلِيكَ العَصْرِ - طَالَ بَقَاؤُهُ -
حَبَانِي مَا أَبْغِي فَتَمَّ لِيَ القَصْدُ

الملك لحسام الدين:

عَلَيكَ سَلامُ اللهِ يا وَلَدِي الذي
بَشَائِرُهُ وَافَتْ، وتَمَّ لَهُ القَصْدُ

(1) المَجَالي: ما يُرَىٰ من الرأْس إِذا استُقبِل الوجه، أو هو موضع الصَلَع منها.

أبشرْ يا ولدي؛ فقد أذنتُ لكَ بالسياحةِ، فلتكن نفسك من هذه الجهة مرتاحة.

ولكن أخبرني إلىٰ أي البلاد تريد المسير، لأكون من جهتك مرتاح الضمير.

حسام الدين للملك: إنِّي يا مولاي قد اطلعتُ علىٰ تواريخِ البلادِ، ودامَثتُ[1] أخلاق العباد؛ فوجدتُ أن أحسن البلاد هواءً، وأعذبها ماءً، وأكثرها آثارًا عجيبة، وأدهشها مناظرًا غريبة، وأجملها رياضًا بديعة زاهرة، كنانة الله في أرضه مصر القاهرة.

وأنَّ أهلها مُتَّصِفون بمكارم الأخلاق، وطهارة الأعراق، ومحاسن الخصال، وأحاسن الخلال، ولِينِ الجانب، ومحبةِ الأجانب، وحرصهم علىٰ العلوم والمعارف، وتشييدهم معالم الآداب والعوارف، وسعيهم وراء واجباتهم الوطنية، وكمال عنايتهم بنظام هيئتهم الاجتماعية؛ ولذلك كانت مطمح أنظار السائحين، ومحط رُحَّال المتغربين.

وإني سأجعل سياحتي في تلك البلاد النضيرة، وبعدها أذهبُ إلىٰ جزيرة العرب الشهيرة، وأرجو أن لا يُصاحبْني في سفري سوىٰ نديمي (نديم) وخادمي (سليم).

---

(1) الدَّماثَةُ: دمّث الشيء بيده: مرَّسه حتىٰ يلين.

الملك لحسام الدين: نِعْمَ ما اخترتَهُ من البلاد، وارتاحت إليه نفسك من العباد، ولكن عليك بأن تُصغي لما سألقيه عليك، نظر الله بعين عنايتي إليك.

يا بُني، عليك بصبر أولي العزم، ورفق ذوي الحزم.

وتخلق بالخلق السَّبْط[1]، ولا تجعل يدك مغلولة إلىٰ عنقك، ولا تبسطها كل البسط.

وعامل السفهاء بالصفح الجميل، وخُذْ بالعفو إن جَنَىٰ جَانٍ ذَلِيل.

أَخْمِدْ بِحِلْمِكَ ما يُذْكيهِ ذو سَفَهٍ
مِن نَارِ غَيْظِكَ، واصْفَحْ إِنْ جَنَىٰ جانِي
فالحِلْمُ أَفْضَلُ ما ازْدانَ اللَّبِيبُ بِهِ
والأَخْذُ بالعَفْوِ أَحْلَىٰ مَا جَنَىٰ جانِي[2]

وحافظْ علىٰ مودة الصديق، لاسيما في وقت الضَّنْك والضيق.

ولا تُطعْ الطمعَ فيُذلَّك، ولا تَتَّبِعْ الهَوَىٰ فيُضلَّك.

بُنَيَّ اسْتَقِمْ فالعُودُ تَنمىٰ عُروقُهُ
قَوِيمًا ويَغْشَاهُ إِذَا ما التَوَىٰ التَّوىٰ

(1) السَّبْط: الليِّنُ.

(2) وردت في مقامات الحريري، ص 392.

وعَاصِ الهَوَىٰ المُرْدِيَّ فكم من مُحَلِّقٍ
إلىٰ النَّجْمِ لـمَّا أنْ أَطَاعَ الهَوَىٰ هَوَىٰ
وحَافِظْ عَلَىٰ مَنْ لا يَخُونُ إذا نَبَا
زَمَانٌ وَمَنْ يَرْعَىٰ إذا مَا النَّوَىٰ نَوَىٰ(1)

وإياك وظلم العباد؛ فإن الله للظالمين بالمرصاد..

واجعل وصيتي هذه نُصب عينيك، واعمل بها، واللهُ خليفتي عليك.

حسام الدين للملك: لقد علَّمتني رشدًا، ومنَحتَني مالم يَمْنَحْ والدٌ ولَدًا، فلأمتثلنَّ نصيحتك الصالحة؛ حتىٰ يُقال: ما أشبه الليلة بالبارحة.

الملك لحسام الدين: بارك الله فيك، ولا شمتت بك أعاديك.

الملك للوزيرين: وأنتما أيها الوزيران اذهبا في هذا الحين، وهيئا موكب المسير، لولدي حسام الدين.

(يخرجان وتدخل الملكة أسما وابنتها الأميرة سلمىٰ)

أسما للملك:

مَقَامُكَ فوقَ النَّجْمِ بَلْ هو أَعْظَمُ
وسَيْفُكَ فِي كُلِّ الرِّقَابِ مُحكَمُ

---

(1) نفس المرجع، ص389.

فَـلا زَالَ عَـرْشُ المُلْـكِ فيـكَ مُعَـزَّزًا

لَكَ الدَّهرُ عَبْدٌ والكواكبُ تَخدُمُ

سَلْمَىٰ للملك:

يـا مَلِيكًـا قـدْ مَـدَّ ظِـلَّ أَمَانِـهِ

وأفـاضَ النَّـوَالَ مِـنْ إِحْـسَانِه

عَلِـمَ اللهُ كيـفَ أنـتَ فَأَعْطَـا

كَ المَحَلَّ الجَليلَ مِنْ سُلْطَانِه[1]

الملك لهما: مرحبًا بكما، اعلما أنني ما أرسلتُ إليكما في هذا الحين؛ إلا لإعلمَكُمَا بسفر ولدي حسام الدين. وقد بعثتُ وزيري لتهيئة معدات[2] المسير، فقوما ووِدِّعَانِه بدونِ تأخير.

أسما للملك: مولاي كيف طاوعك علىٰ ذلك قلبك، وارتاح لسفره فؤادك ولُبَّك؟!

آه! ما هذا الخبر؟! فقد أدهش مِنِّي الفِكَر!

أواه! كيف يستطيع قلبي الحزين فراق ولدي حسام الدين؟!

---

(1) البيت الثاني للبحتري، ديوانه، 3/ 2170. والبيت الأول يشبهه قول البحتري أيضًا: (فيهِ نالَ الإمامُ تكرِمَةَ اللَهِ [م] وَفَضلَ العَطاءِ مِن إِحسانِه).

(2) في النسخة: "معداة".

لا، لا، هذا لا يكون، فإن دونه شرب كأس المنون.

أواه! فقد وَهَىٰ جلدي، وتَقَطَّعَتْ كَبِدِي.

فبالله يا مولاي، لا تُجرِّعني مرارةَ بُعْدِهِ؛ فإن حياتي لا تطيب من بعده.

يا نَفْسُ إنْ بَعُدَ الحبيبُ ففارِقِي

طِيبَ الحياةِ، وفي البَقَا لا تَطْمَعي[1]

الملك لأسما: عليكِ أيتُها الملكةُ بجميل الصبر؛ فلولا مسيرُ البدرِ ما اكتمل البدر.

حسام الدين لأسما: طيِّبي نفسك ولا تحزني يا أماه؛ فإنني سأكون عندك عن قريب إن شاء الله.

سلمىٰ للملك: أواه ما هذا الحال يا أبتاه؟! كيف صدرت إرادتك لشقيقي بالسفر، وأنلتَه من مطلوبه القصد والوَطَر؟!

آهٍ! ضاع صبري حار فكري! ما هذا الفراق؟! بل: ما هذا الاحتراق؟!

ما هذه الغربة؟! بل: ما هذه الكربة؟!

لا، لا، هذا منام، بل هو أضغاث أحلام.. **(ثم تبكي)**

---

(1) البيت لناصر الدين ابن النقيب، انظر: فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، 1/ 329.

الملك لسلمىٰ: كفكفي يا ابنتي هذه الدموع، واعلمي أن سفر أخيك إن شاء الله قريب الرجوع.

سلمىٰ للملك:

دَعُـوا مُقْلَتِـي تَبْكِـي لبُعـدِ حَبِيبِهـا
وتُطْفِـي بـبردِ الـدَّمْعِ حَـرَّ لَهِيبِهـا
فَفِي حَلِّ خَيْطِ الدَّمْعِ للقلبِ راحةٌ
فَطُـوبَىٰ لِـنَفْسٍ مُتِّعَـتْ بِحَبِيبِهـا
بِمَـنْ لـو رَأَتْـهُ القَاطِعَـاتُ أَكُفَّهَـا
لَمَـا رَضِـيَتْ إلا بِقَطْـعِ قُلُوبِهـا[1]

حسام الدين لسلمىٰ: ما هذا التفجع يا أختاه؟!، فقد فرىٰ من فؤادي أحشاه، فنهنهي منك غَرْبَ هذا الدمع[2]، فليس بعد التفرق إلا الجمع.

أمانُ للملك: مولاي إنَّ الموكب قد تهيَّأ بجميع لوازمه وانتظم، وهو في انتظار مولاي حسام الدين المعظم.

الملك لأمان: قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان، وليس في

---

(1) البيت لديك الجن الحمصي، ص 251-252، راجع ديوانه. وفيه "تبكي لفقد"، و"لتطفي".
(2) الغَرْبُ: مَسِيلُ الدَّمْع، وقيل: انْهِماره مِنَ الْعَيْنِ.

الإمكان تغيير ما كان.

فقوما في الحال ودعانه، ولا تحركا بهذا الكلام ساكن أشجانه.

(يقوم الجميع للوداع)

الملك لحسام الدين:

أيهـــا الرَّاحِـــلُ المُقِــيمُ بقَلْبِــي

أنــتَ فِيــهِ –واللهِ- خيــرُ نَزِيــل

سِــرْ بحِفْــظِ الإلــهِ بَــالِغَ قَــصْدٍ

وعَلَىٰ اللهِ – جلَّ- قَـصْدُ الـسَّبِيـل

حسام الدين للملك:

أَسْـــأَلُ اللهَ أَنْ يُطِيــــلَ بَقَاكَـــا

بَــالِغَ القَـصْدِ مِـنْ جَمِيـلِ رِضَـاكَا

زَادَكَ اللهُ رِفْعَــــــةً واعْـــــتِلاءً

واعتـــزازًا بــــه تُــــذِلُّ عِــــدَاكَا

أسما لحسام:

يا حُسَام الـدينِ مـا هَـذا الفِـرَاقُ؟!

إنَّ قَلْبِــي مــن لَظَــاهُ في احْتِــرَاق

حسام لأسما:

ضِـقْتُ يـا أُمَّـاه ذَرْعًـا فاصْـبِري

إنَّ مُـرَّ البُعْـدِ يَحْلُـو بـالتَلَاقِ

أسما لحسام:

لـيسَ لِـي صَـبْرٌ عَلَـىٰ هـذا النَّـوَىٰ

كَيْفَ صَبْرِي والنَّوَىٰ مُرُّ المَذَاق؟!

حسام لأسما:

لا تَزِيـدِي القلـبَ مِنِّـي حُرْقَـةً

بـدُمُوعٍ مِنْـكِ تهمـي[1] بـانْطِلَاق

سلمىٰ لحسام:

يـا أَخِـي قَـدْ ذَابَ جِـسْمِي حَـسْرَةً

وجَرَتْ سُـحبُ دُمُـوعِي بانْـدِفَاق

حسام لسلمىٰ:

كَفْكِفِـي الـدَّمْعَ فَمَـا يُجْـدِي البُكَـا

لَـيْسَ يُطْفِـي الـدَّمْعُ نِيـرَانَ اشْـتِيَاق

---

(1) تهمي: تَسِيل.

سلمىٰ لحسام:

آهِ مَــا لِــي فِــي التَّنَــائِي طَاقَــةٌ

إنَّ هَــذَا البُعْــدَ شَــيْءٌ لا يُطَــاق

حسام لسلمىٰ:

الْزَمِـي الـصَّبْرَ فَمَـا هَـذَا الأَسَـىٰ؟!

إنَّ طَعْــمَ الــصَّبْرِ حُلْــوٌ باتفَــاق

أسما لحسام:

سِــرْ بِحِفْــظِ اللهِ يــا بَــدْرَ العُلَــىٰ

أَنْــتَ بَــدْرٌ ولِقَلْبِــي الانْــشِقَاق

حسام لأسما:

لِــي يــا أُمَّــاهُ أَرْجُــوكِ الــدُّعَا

كُلَ حِينٍ فِي اصْطِبَاحٍ واغْتِبَاق[1]

حسام لهما:

وَدِّعَـــــانِي وَدَعَـــــانِي لِلْـــــذِي

شَــادَ فِــي قُدْرَتِــهِ الــسَّبْعَ الطِّبَــاق

---

(1) اغتباق: مَسَاء.

الجميع:

يــا إِلَــهَ الخَلْــقِ كُــنْ عَوْنًــا لَنَــا

وِاسْقِنَا الإِسْعَادَ بالكَأْسِ الدِّهَاقِ[1]

واسْــبِلِ الــسِّتْرَ عَلَيْنَــا، واعْطِنَــا

حُسْنَ صَبْرٍ فِـي اجْتِمَـاعٍ وافْتِـرَاق



(1) الدِّهَاق: المُمتلئةُ.

الفصل الثاني

(تُرفع الستارة عن الوزير حازم- وزير ملك الأندلس- وهو في قصره يُنشد هذه الأبيات)

حازم لنفسه:

لَـمْ يَلْـق قلبـي علـىٰ نـارِ الغـرامِ هـدىً
في حُبِّ سَـلْمَىٰ ولا مَسراهُ قـدْ حَمـدَا
أَبِيــتُ والوَجْــدُ يَطْــوِينِي ويَنْــشُرُنِي
والــصَبْرُ إن قَــامَ بــي في حُبِّهَــا قَعَــدا
لــي مُهْجَــةٌ في الهَــوَىٰ تَهْـوَىٰ مُعَـذِّبَهَا
ومُقْلَــةٌ واصَــلَتْ في لَيْلِهــا الــسُّهْدَا[1]
لَوْلَاكِ مَا بِتُّ يا سَـلْمَىٰ حَلِيفَ جَـوىً
ولا فــؤادي غَــدَا بالوَجْــدِ مُتَّقِــدَا
اللهَ في مُهجَتِـي، في طُـولِ صَـدِّك لِـي
فَـالهَجْرُ لـم يُبْـقْ لـي صَـبْرًا ولا جَلَـدَا

---

(1) السُّهْد: قلة النوم.

أنـا المُقِـيمُ علـىٰ عَهْـدِ الغَـرَامِ ولـو
أَذَبْتِ مِني عَلَىٰ حُكْـمِ الهَـوَىٰ الكَبِـدَا
لا غَـرْوَ أنْ ذُلَّ مِثْلـي في الغَـرَامِ فَكَـمْ
أَذَلَّ حُبُّـكِ في أَهْـلِ الهَـوَىٰ أسـدَا

آه!

إلىٰ متىٰ وأنا أُعلِّلُ القلب بالأماني، وأعدُه بقرب أيام التواصل والتداني؟!

وحتَّامَ أتقلَّبُ علىٰ لهيب الجمر، ما بين فرطِ صدٍّ وطولِ هجر؟!

فهل خُلقت لأنْ أُعذَّب بحبك يا سلمىٰ وحدي، وأموت في محبتك شهيد صبابتي ووجدي؟!

آهٍ! ما أقسىٰ عليَّ قلبُكِ الصَّخْري! وما أولَعَه بتعذُّبي وهجري!

فيا طول عنائي من فرط هجرك المُبْرح! ويا ظمأي لنهلةٍ من شرابِ وَصْلِكِ المُفْرِح!

مُحِبُّـكِ يـا سَـلْمَىٰ أَضَـرَّ بِـهِ الهَجْـرُ
وَقَـدْ عَبَثَـتْ فِيـهِ الـصَّبَابَةُ والفِكْـرُ
أَثَّـرَتْ تَبَـارِيحُ الغَـرَامِ بمُهْجَتِـي
وأَضْرَمَتْ في الأَحْشَاءِ ما دُونَهُ الجَمْرُ

رَثَي لِي عَدُوِّي مِن صُدُودِكِ فِي النَّوَىٰ
وَرَقَّ لِقَلْبِـــي فِي مَحَبَّتِـــكِ الـــصَّخْرُ
أَمَـــا آنَ أَنْ يَغْـــدُو الفُـــؤادُ مُنَعَّمًـــا
بِوَصْـلِكِ يـا سَـلْمَىٰ فَقَـدْ خَانَـهُ الـصَّبْرُ
فَرِفْقًـــا بـــصَبٍّ فِي هَـــوَاكِ مُعَـــذَّبٍ
مِـنَ الـصَّدِّ والهجْـرانِ قَـدْ مَـسَّهُ الـضُّرُ

آهٍ من العشق ونيرانه، ومن الحب وفرط هجرانه، فقد ضاقت بي الدنيا، وبلغت من الولوع الدرجة القصوىٰ.

آهٍ وألف آهٍ لو تفيدُ آه! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(ثم يفتكر قليلًا ويقول):

نَعَم، الأجدر بي أن أبعث وراء صديقي (فاضل)، وأطلعه علىٰ مكنون سري، وأستشيره في تدبير أمري، فإنه ذو فكرة سامية، ومروءة عالية، ولا بُدَّ لي من الشكوىٰ إليه، فعسىٰ أن أجد لي طريقًا للخلاص علىٰ يديه.

ولابُـدَّ مِـنْ شَـكْوَىٰ إلِـىٰ ذِي مُـرُوءَةٍ
يُواسِـيكَ، أو يُـسلِّيكَ، أو يَتَوَجَّـعُ[1]

(1) البيت لبشار بن برد، انظر ديوان بشار بن برد 4/ 100 شرح وتكميل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.

نعم، هذا هو الرأي السديد، والفكر الحميد.

حازم لنسيم: يا نسيم، اذهب لدار صديقي فاضل، وائتني به عاجلًا غير آجل.

حازم لنفسه:

شَاوِرْ سِوَاكَ إذَا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ

يَوْمًا، وإنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ المَشُورَاتِ

فالعَيْنُ تُبْصِرُ منها مَا دَنَا ونَأَىٰ

ولا تَرَىٰ نَفْسَهَا إلا بِمِرْآة[1]

نعم، إنَّ صديقي (فاضل) هو كاسمه فاضل، قد حَنَّكَتهُ يَدُ التجاريب، ورأىٰ مِن دَهرِهِ الأعاجيب، فهو بدون ريب، سيكون علىٰ يديه تفريج همي، وكشف أحزاني وغمي.

(ثم يلتف جهة الباب ويقول):

وها هو قد أقبل. ولله دَرُّه من صَدِيقٍ مُكَمَّل.

فاضل لحازم: السلام علىٰ دولة الوزير.

حازم لفاضل: وعليك السلام أيها الشهم الخطير.

---

(1) البيتان لناصح الدين الأرجاني. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، 7/ 247. ورواية البيت الثاني:

فالعَيْنُ تَلْقىٰ كِفاحًا ما نأىٰ ودنا ولا تَرىٰ نَفْسَها إلا بمِرآة

فاضل لحازم: ما لي أراك بحالةِ الحيرة والانذهال، مضطرب القلب مشغول البال؟!

حازم لفاضل: آهٍ يا صديقي فاضل! بالله دعني من هذه المسائل.

فاضل لحازم: لا، لابد أن تُخبرني عن سبب ذلك، وتُطلعني علىٰ أسرار ما هنالك.

حازم لفاضل: اعلم يا فاضل أنني قد تعلق قلبي من مدة مديدة، بمحبة ابنة الملك الأميرة (سلمىٰ) ذات المحاسن الفريدة.

وقد برح بي حبها العذري، واستلب لُبِّي وأشغل فكري..

وكل يومٍ يزدادُ هواها في فؤادي؛ حتىٰ أَحرَمَني لذيذَ رُقَادي.

وقد اتخذتُ كل وسيلة في الاقتران بها، أو اقتراب منها، فما صادفت وسائلي أيسر رباح، وذهبت أعمالي أدراج الرياح، وكنتُ في ذلك كمن يَرقُم علىٰ الماء، أو يحاول أن يمس بيده قبة السماء.

وفي هذا النهار زادت بي الوساوس والأوهام، وطاشت مني المدارك والأحلام، وما رأيت أحدًا يُفرِّج عني هذه الكربة سواك يا قديم الصداقة والصحبة؛ فأرسلت إليك لأقص هذه النبأ عليك.

وها قد أطلعتُكَ علىٰ عِلَّتي لتُشَخِّصَ الداء، وتأسوه بما ينجع فيه من الدواء، فأشر عليَّ بما تراه موافق، فلا عدمتك من صديق صادق.

فاضل لحازم: يا للعجب[1]، كيف جرىٰ كل ذلك وما أعلمتني به، ولا أطلعتني علىٰ شيء منه؟!

حازم لفاضل: كان ما كان، فأشر عليَّ بما تراه نافعًا لي الآن.

فاضل لحازم: ما سببُ حبك فيها والغرام؟! وكيف كان بدأ هذا الهيام؟!

حازم لفاضل: اعلم أنني قد كنت ذات يوم داخلًا في القصر الملوكاني، وقد كان والدها قبل ذلك إليه دعاني، فوقع نظري بدون قصد عليها، فتاه قلبي في بديع محياها ومال إليها.

وما كنت أخال أن تلك النظرة، ترمي في فؤادي أسهم الحسرة.

يا نَظْرةً ما كنتُ أَحْسبُ أَنَّها

تَرْمِي الفُؤادَ بأَعْظَمِ الحَسَرَاتِ

فاضل لحازم: إني لأعجب من عشقك لهذه الأميرة، ووقوعك في هذه الحالة الخطيرة، فهلا تبصَّرت بعواقب أمورك؛ حتىٰ لا تقع في حبائل غرورك؟!

---

(1) في النسخة: يا الله العجب.

حازم لفاضل: آهٍ يا فاضل لقد أطلت حديث تعنيفي وملامي، وما رثيت لفرط وجدي ولاعج[1] غرامي، فدع عنك تفنيدي وعذلي. حماك الله من أن تكون في الغرام مثلي.

خَـــلِّ الـــشَّجِيَّ وقَلْبَـــهُ وكُلُومَـــهُ[2]
فَعَـــلامَ تَعْذِلُـــهُ وفِـــيمَ تَلُومُـــه؟!

هـــذا عِتَابُــكَ قــد أَطَلْــتُ حَدِيثَــه
وهَــوَىٰ فُــؤادِي قــد بَــرَاهُ قَدِيمُــه

إِيهًـــا بِلَوْمِــك عــن مكَابِــدِ لَوْعَــةٍ
لــو كَــانَ يــدري الرُّشْــدَ كــانَ يَرُومُــه

وَلْهَـــانَ يَطْوِيـــهِ ويَنْـــشُرُهُ الأَسَـــىٰ
حَيْــرَانَ يُقْعِــدُهُ الهَــوَىٰ ويُقِيمُـــهُ

أَيَقَـــرُّ طَرْفِـــي والمَنَـــامُ عَـــدُوُّهُ
ويُـــسَرُّ قَلْبِـــي والغَــرَامُ غَرِيمُـــهُ[3]

---

(1) اللَّاعِجُ: الهَوىٰ المُحْرِقُ.

(2) الكُلُوم: جمع كَلْم، وهو الجُرْح.

(3) في ديوان شهاب الدين التلعفري الشيباني: "خلِّ الشجي هو قلبُهُ وكُلُومُهُ"، و"هوىٰ فؤادك"، وقوله:

"إِيهًا بِلَوْمِك عن مكَابِدِ لَوْعَةٍ ... يَأْبَىٰ لفرطِ هُيَامِهِ تهويمُهُ"

ديوان التلعفري، ص 451-452.

آه! كيف الخلاص من شرك الهوىٰ، وقد تأججت في الفؤاد نيران الجوىٰ، وضاقت عليَّ الأرض الرحيبة، وأصبحتُ في حالة من الغرام عجيبة؟! فما الذي في حالتي يا فاضل تراه، وقد تقطعت بسيف الحب أحشاه؟!

فاضل لحازم: إن الذي أراه أن تخلع من قلبك محبة سلمىٰ، وألا تذكر لها ما دمت حيًا علىٰ لسانك اسما، وألا تخطر ذكرها لك علىٰ بال، ولا تفكر فيها بحال من الأحوال. وتمسَّك بأذيال اليأس منها، واعتصم بحبل البعد عنها؛ فإن اليأس إحدىٰ الراحتين، والبعد أهنا الحالتين، وبذلك يرتاح منك الفؤاد، ويواصل جفنك لذيذ الرقاد.

حازم لفاضل: آهٍ! من أين لي ذلك وكيف السبيل إليه، وقد عدمت رشادي، وعصاني فؤادي، واستولت عليَّ الحيرة، وتملَّكتني يد الذُّهول؟! آهٍ! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فاضل لحازم: هوِّن عليك يا مولاي؛ فإن كل حال يزول، ولا يدوم علىٰ حالته حال، واعلم أن مع العسر يسرا، ومع الضيق فرجًا وبشرًا.

فعليك بالصبر فإنه من عزائم الأمور، ودع الجزع فإنه وصف ربَّات الخدور، وأَفق من سكرات الهوىٰ، وأرح فؤادك من عناء هذا الجوىٰ، وقم بنا لندخل الرياض ونشاهد الماء والخضرة؛

فإنهما يزيلان الهم وينفيان الحسرة.

حازم لفاضل: أُقسم بمن ملَّك سلمىٰ فؤادي، وسلب مني بحبها لذيذ رقادي؛ إنني ما نظرتُ نرجسًا إلا وخلتُهُ طرفها الناعس، ولا رأيتُ غصنًا إلا وتوهمتُهُ قَدَّها المائِدَ المائِسَ[1]، ولا أبصرتُ وردًا إلا وتخيلتُهُ خدها الناعم. ولا شممتُ[2] أقحوانًا إلا وذكَّرني ثغرها الباسم، وكيف يمكنني أن أدخل الرياض الأنيقة، ولا أتذكر محاسن تلك المعشوقة؟!

آهٍ! قد وَهَىٰ جلدي، وفقدت رشدي.

فاضل لحازم: قد حِرتُ في أمر هواك، جعلني الله فداك، كلما فتحتُ لك بابًا من السلوان، قلتَ لا طاقة لي علي الولوج فيه، ولا إن كان.

وبدون شك إن بقيتَ علىٰ هذا الحال؛ تعتريك عوارض الحيرة والانذهال، وتصبح بين الأنام أعظم عِبرة، وتموت -لا سمح الله- شهيد الحسرة.

فاكبح جماحَ نفسك، وميِّز بين يومك وأمسك، وإياك والاسترسال في حب ربات الحجال[3]، واعلم أن محبوبتك عنقاء

---

(1) مادَت: مالت.

(2) في النسخة: شمتُ.

(3) الحِجَال: جمع حِجْل، وهو الخَلْخَال تلبسه المرأة في ساقها.

مُغْرِب[1]؛ فاختر لنفسك سواها، ولا تعذِّب قلبك بنار هواها، لاسيما إذا كانت لا تميل إليك، أو تتعوذ منك إن وقع نظرها عليك. فاعقد العزم علىٰ تركها بالكلية، وكن كاسمك حازمًا في هذه القضية.

حازم لفاضل: نِعْمَ ما أشرتَ به عَليَّ، وما أوصلتَهُ من النصيحة إليَّ، وحبذا لو كان داخلًا في دائرة الإمكان، ويا ليت قلبي يُطاوعني علي السلوان. ولكن لابد لي من السعي وراء نوال الوصال، ولو لم تساعدني الأقدار ببلوغ الآمال.

علىٰ المَرْءِ أنْ يسعَىٰ ويَبْذُلَ جَهْدَه
وليسَ عليهِ أنْ يُساعِدَهُ الدَّهْرُ[2]

وقد ارتأيتُ أن ذلك لا يتسنَّىٰ لي إلا بهلاك أخيها حسام الدين، وإلقائه في مهاوي العذاب المبين؛ لأنه لي هو العدو

---

(1) حَلَّقَتْ بِهِ عَنْقَاءُ مُغْرِبٌ. مثل يضرب لما يئس منه، قال الشاعر:
إذا مَا ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ خَلَّىٰ مَكَانَهُ فقد حَلَّقَتْ بالجُودِ عَنْقَاءُ مُغْرِبُ
العنقاء : طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم وأغرب: أي صار غريبًا وإنما وُصِف هذا الطائر بالمُغْرِب لبعده عن الناس ولم يؤنِّثُوا صفته لأن العنقاء اسمٌ يقع علىٰ الذكر والأنثىٰ كالدابة والحية ويقال : عَنْقَاءُ مُغْرِبٌ علىٰ الصفة ومُغْرِبِ علىٰ الإضافة كما يقال مَسْجدُ الجامِعِ وكتابُ الكامِلِ. راجع: مجمع الأمثال، 1/ 201.

(2) البيت لأبي ركوة الوليد بن هشام ، انظر: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، 2/ 659.

المبين، وما زال حيًا فأبوه بأخته عليَّ ضنين. فطالما وسمني لأبيه بالخيانة، وتكلم عنده في حقي بعدم الأمانة! وكم سعىٰ بين يدي والده في نزعي من أُبَّهة الإمارة، وحاول جهده أن يخلعني من صدر الوزارة، ولا أرىٰ لاغتنام هذه الفرصة أعظم من هذا الزمان؛ حيث هو الآن متغيب عن الأهل والأوطان، لاسيما والأخبار قد جاءتنا بوصوله إلىٰ الديار المصرية، وتوجهه منها عن قريب إلىٰ الأقطار الحجازية، فالأَوْلَىٰ بي أن أنتهز هذه الفرصة وأكشف عن قلبي هاتيك الغصَّة، وأبعث إلىٰ بعض أمراء العرب، بأن يلقيه في هوة العطب.

فكيف ترىٰ هذا الرأي يا فاضل، فأوضح لي حقيقة رأيك فيه ولا تماطل؟!

فاضل لحازم: ما هذا بالرأي السديد، أيها الوزير الرشيد، فلا يحيق المكر السيء إلا بأهله، والشر لا ينقلب إلا علىٰ صاحبه بخيله ورجله. وأنت تعلم أن من حفر لأخيه جبًا؛ وقع فيه علىٰ رأسه منكبًا، فحذار من سلوك هذه الخطة الوخيمة العواقب، وسر علىٰ نهج الاستقامة تنل المآرب.

حازم لفاضل: ما أراك إلا قد سُمتني الشطط، وكلفتني بأن أسلك سبيل الغلط، أليس أن الضرورات تبيح الأمور المحظورات، وإن المحبة والشغف يحملان علىٰ خلع ربقة

الشرف؟! فلا أرىٰ بدًا من ارتكاب هذه الجريمة؛ لأحظي بالقرب من تلك الدرة اليتيمة.

فاضل لحازم: مولاي، أَبَلَغَ بك الغرام أن تسلك طريق الغدر بالكرام؟! وما لي أراك لا تسمع مني ما ألقيه إليك، ولا تعي معنىٰ ما أسرده عليك؟!

أين مداركك السامية، بل أين أفكارك العالية؟!

ألأجل نوالك هذه الشهوة الدنية؛ تسعىٰ في هلاك هاتيك النفس الطاهرة الزكية؟!

أهكذا يكون جزاء الملك منك بعد أن اتخذك وزير مملكته، وركن دولته، وأغدق عليك سحائب نعمه، وغمرك ببحار إحسانه وكرمه، وجعلك ساعده الأقوىٰ، ونصيره في الشدائد والجُلَّىٰ[1]؟!

فكيف تخونه بعد ذلك في ولده، وتغدر بحشاشة فؤاده وكبده مع أنه وحيد الدولة والمملكة؟!

فأنَّىٰ يسوغ لك أن ترميه فىٰ هذه التهلكة؟!

وكيف تقابل هاتيك الأيادي البيضاء، باقتراف هذه الجريمة الشنعاء؟!

بئس ما سولته لك نفسك وعزمت عليه، وطمحت بطرفك

(1) الجُلَّىٰ: الأَمر الْعَظِيمُ.

الوثّاب إليه!

وحذار من الانقياد لما لا تبيحه الذمة، ولا يرتضيه شرف الأمة!

وخَف الله في سعيك وراء هلاك حسام الدين؛ فإن ذلك من الظلم المبين بيقين.

تَأَنّ، ولا تَعْجَلْ لأَمْرٍ تُريدُهُ
وكُنْ رَحيمًا بالناسِ تُبْلَىٰ براحِم
فَمَا مِن يدٍ إلا يدُ اللهِ فَوْقَهَا
ولا ظَالِمٍ إلا سيُبْلَىٰ بظالِم[1]

حازم لفاضل: أحسنتَ يا فاضل، فقد أوضحتَ ليَ الدلائل، وسلكتَ بي منهج السداد، وحمَلتَني علىٰ التمسك بعُرَىٰ الرشاد؛ فإني لإحسانك من الشاكرين، والله لا يضيع أجر المحسنين.

فاضل لحازم: الحمد لله الذي صرف عن ذهنك هاتيك الأوهام، وبصَّرك بعواقب مستقبل الأيام، وإني أستأذنك الآن بالذهاب.

حازم لفاضل: سر بحفظ الله الملك الوهاب. وأوصيك يا

(1) البيت الثاني مذكورٌ في بعض كتب الأدب، ولم أقف علىٰ نسبته. انظر: السحر الحلال في الحكم والأمثال، أحمد الهاشمي، ص 102.

فاضل أن لا تُبدي شيئًا من هذه الأمور، فإنها قد كانت مني نفثة مصدور.

فاضل لحازم: كُنْ من هذه الجهة مرتاح البال، أصلح الله لي ولك الحال.

حازم لنفسه: حقًا إن صديقي فاضل، رجل خامد الفكر خامل، لكن ما أبرعه في الوعظ، وتحسين النطق واللفظ. يأمرني بالصبر، وهل بعده سوىٰ القبر؟! ولابد لي من أن أتمم ما ارتأيته صباح هذا النهار، فإنه يُنيلُني - إن شاء الله- غايات الأوطار. وذلك أن أرسل إلىٰ أمير كاظمة الأمير غصوب، بأن يلقي القبض علىٰ حسام الدين ويذيقه أنواع الكروب. وقد حررت له بذلك هذا الجواب، ووعدته فيه بأنني سأجعله أميرًا علىٰ سائر تلك الهضاب، ولا مندوحة لحسام الدين من المرور عليه، وسيكون هلاكه عن قريب علىٰ يديه. ولكن لابد أن أصحب ذلك الكتاب بأسمىٰ هدية؛ فإنها تكون أسرع تأثيرًا في إنتاج هذه القضية. ولا أرىٰ أن أرسل في هذه الحادثة المهمة، سوىٰ خادمي نسيم صاحب الهمة؛ فإنه أمين علىٰ الأسرار. وله المعرفة التامة بمفاوز هاتيك الأقطار. وطالما انتدبته في مهمات الأمور؛ فعاد إليَّ بما يَسُرُّ القلب ويشرح الصدور.

حازم لنسيم: يا نسيم.

نسيم لحازم: لبيك يا مولاي.

حازم لنسيم: خذ هذا المكتوب، وأوصله إلىٰ أمير كاظمة[1] الأمير غصوب، وسلِّمه هذه الهدية، وإياك ثم إياك أن يطَّلع علىٰ أحوالك أحدٌ من الرعية، وحافظ علىٰ ذلك محافظتك علىٰ الأرواح، وواصل سيرك في الغدو والرواح. وخذ لك هذه المائة دينار، وسأمنحك مثلها عند رجوعك إلىٰ هذه الديار، فقم واذهب الآن، وإياك التوان.

نسيم لحازم[2]: إني يا مولاي سأبذل غاية المجهود في إتمام هذا المقصود؛ فلا يكن عندك من جهته أدنىٰ افتكار؛ فسيكون علىٰ يدي إن شاء الله نيل الأوطار. وأنت تعلم أنني ما توجهت في مهمٍ إلا وعدت فائزًا بالنجح، وصادفت تجارتي في سوق التيسير أعظم ربح، فأبشر يا مولاي بنوال ما تتمنىٰ، وقل الحمد لله الذي أذهب الحزن عنا.

حازم لنسيم: لا خابت فيك يا نسيم الآمال، فهيا وتوجه لقضاء ذلك في الحال.

(يخرج نسيم)

حازم لنفسه: الآن تمت المآرب. وفزت بنيل الرغائب.

---

(1) في النسخة: " الأمير كاظمة الأمير غصوب ".

(2) في النسخة: "حازم لنفسه".

بالغَـدْرِ يَبلُـغُ ذُو الآمـالِ مَـا طَلَبَـا

وبالخِيَانَـةِ يَحْـوي كَـلَ مَـا رَغبَـا

وكلُّ مَنْ لـم يَخُنْ عَهْدَ الـصديقِ فَلَا

تلفِيـه يومًـا إلـىٰ العَليـاءِ مُنتـسبَا

وكـلُّ مَـنْ لـمْ يَكُـنْ بالغـدرِ مُعْتَـصِمًا

في نَيْـلِ مأْربِـهِ لـم يبلـغْ الإِربَـا

أنـا الخبيـرُ بـأحوالِ الزمـانِ، وَلِـي

فِيـهِ وقـائعُ حَـالٍ تُـورِثُ العَجَبَـا

تلقَـاهُ للحُـرِّ حَرْبًـا نارُهـا اسْـتَعَرَتْ

وخيـرَ سِـلْمٍ لِمَـنْ قـدْ خَـانَ أَوْ كَـذَبَا

وهـذه شِـيمَةُ الـدَّهرِ الخـؤونِ، فكَـمْ

يَحْمِـلُ الحـرُّ مِـنْ أَعْبَائِـهِ نَـصَبَا

لا لا أخـونُ الأُولـىٰ آلاؤهُـم غَمَـرَت

كـلَّ الـوَرَىٰ وازدرتْ في فَيْـضِها الـسُّحُبَا

وكيـف أغـدُرُ فِـيمَنِ عَـمَّ عَـدْلُهُمُ

وفـاخَروا بِـسَنَا عَليـاهمُ الـشُهُبَا

بلىٰ أخونُ الذي لولا كَرِيمَتُه

مـا بـاتَ طَرْفِـي بسيرِ النَّجْمِ مُرْتَقِبَا

فللضروراتِ أحكامٌ مسددةٌ

تُلجي أهالي النُّهَىٰ أنْ يترُكُوا الأَدَبَا

وإنني ذاهبٌ للحَانِ أشربُها

خَمْرًا مُعَتَّقَةً تُنشي لِيَ الطَّرَبَا

تروحُ الرُّوحُ مِنِّي في مَذَاقَتِهَا

وتنفي عَنْ قَلْبِيَ الأحزانَ والكُرَبَا

لمْ يَدْر ما لذةُ الدنيا وراحتهَا

مَنْ لمْ يكنْ مِن كُؤوس الرَّاحِ[1] قدْ شَربَا

هذا هو الحَزْمُ إنْ عَزَّ المَرَامُ فلا

تبغي سوىٰ الحَزْمَ في نَيْلِ المُنَىٰ سَبَبَا



(1) الرَّاح: الخَمر.

الفصل الثالث



تُرفع الستارة عن بيت الأمير غانم، وهو خيمة كبيرة أو بيت عرب، وعلىٰ بعد منه خيام كثيرة، والخادم نجاح يصلح المكان والكراسي التي فيه، ويدخل عليه خادم آخر يسمىٰ نسيب ويقول له:

نسيب لنجاح: عِمْ صباحًا يا نجاح.

نجاح لنسيب: دعنا يا خَي، بلا صباح بلا نجاح.

نسيب لنجاح: عجايب! ما الذي جرىٰ؟!

نجاح لنسيب: أَخِّرْ لِوَرَا، **(ويدفعه بيده)**

نسيب لنجاح: ما هذا الحال يا حِبِّي؟!

نجاح لنسيب: رُوُحْ وخَلِّينِي بِغُلْبِي! **(ويدفعه مرة ثانية)**

نسيب لنجاح: بالله عليك يا ابن الخالة، إلا ما أخبرتني عن هذه الحالة.

نجاح لنسيب: اعلم يا نسيب أن مولاي الأمير غانم، صاحب الغزوات العديدة والمغانم، قد خطب إليه ابن أخيه الغضبان، المشهور بالبسالة بين الشجعان، ابنته الأميرة صباح ذات الجمال

الفضَّاح، فما كان من مولاي المقدام، إلا أن رفض خطبته وأغلظ عليه في الكلام، وتوعَّده أنه إنْ عاد لخطبتها مرة ثانية عليه، ليقطعن العالية بين كتفيه، وأنت تعلم أن سُنَّة العرب الكرام، أنهم لا يُزوِّجون من اشتهر عنه أمر الغرام.

وقد خرج الغضبان من عند عمه، وله أوفر نصيب من اسمه، وقد اتصل بنا أنه قد نزل علىٰ بني عامر، واستنجد ببطلهم الحُلاحِل[1] الأمير جابر، وقد وعده بأن يزوِّجه بالأميرة صباح، بعد أن يجعل أباها نهبًا لعوامل الرماح، وأنا خائف علىٰ مولاي الأمير غانم، من ذلك الجبار الظالم، وأخشىٰ أن تكون القاضية علي، فأُحرَمَ من جمال محبوبتي (مَي)!

نسيب لنجاح: وأين ذهب الآن مولاك يا نجاح؟!

نجاح لنسيب: ذهب إلىٰ بعض الغدران هو وابنته صباح. وهذا هو قد أقبل؛ فاخرج يا نسيب بالعَجَل (يخرج مسرعًا)، ويدخل غانم هو وصباح.

غانم لنفسه:

لنا نفوسٌ لِنَيْلِ المجْدِ عاشِقَةٌ
ولو تَسَلَّتْ أَسَلْنَاهَا عَلَىٰ الأسَلِ

---

(1) الحُلاحِل: الرجل السَيِّد في قومه.

لا يَنْـــزِلُ المجْـــدُ إلا في مَنَازِلِنـــا

كـالنومِ لـيسَ لـه مـأوىً سِـوىٰ المُقَـلِ[1]

صباح لغانم: ما لِي أراكَ تترَنَّمُ يا أبتاه لهذه الأبيات الحماسية، وتُكرِّر فيها ذكر المجد والنفوس الأبية، فهل لذلك من سبب يا فخر العجم والعرب؟!

غانم لصباح: أَمَا سمعتَ أنَّ ابن عمِّك الغضبان؛ قد أَلَّبَ علينا لأجلك قبائل العربان، وقد استنجد ببني عامر، واستغاث بأميرهم المشهور جابر، وقد وعده ذلك البطل المغوار، بأن يزوجه بكِ بعد خراب هذه الديار. ولكن وحق ذمة العرب، ومن إليها أنتسب؛ لابد أن أُشبعهم ضربًا يهدّ، وطعنًا يقدّ، وأجعلهم عبرة بين الأنام، وأجرعهم بسيفي كأس الحِمَام[2]

خُلِقْـتُ للحـرْبِ أُحْمِيهَـا إذا بَـرَدَتْ

وأَصْـــطَلِي بلَظَاهـــا حيـــثُ أَختَـــرِقُ

لـــو سَـــابَقَتْني المنَايـــا وهـــي طالبـــةٌ

قَـبْضَ النُّفـوسِ أَتَـانِي قَبْلَهـا الـسَّبَقُ[3]

---

(1) البيتان منسوبان لعبد المطلب (جد النبي ﷺ). انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردىٰ الأتابكي، 8/ 69.

(2) الحِمامُ: الْمَوْت.

(3) البيتان لعنترة، راجع: شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي، ص 105، تقديم مجيد طراد.

يا ويلَهم! كيف نسوا وقائعي المشهورة، وغفلوا عن مواقفي المعدودة؟!

ولكن سوف يعلم بنو عامر، عَلَىٰ مَنْ تدور الدوائر

سَلُوا صَرْفَ هذا الدَّهْرِ كَمْ شَنَّ غَارَةً

فَفَرَّجْتُهَا والموتُ فيها مُشَمِّرُ

بِصَارِمِ عَزْمٍ لو ضَرَبْتُ بِحَدِّهِ

دُجَىٰ الليلِ وَلَّىٰ وهو بالنَّجْمِ يَعْثُرُ[1]

وإنِّي يا صباح، وحقِّ فالِق الإِصباحِ، لأضربنَّ دونك بالرماح المثقفة، والسيوف المرهفة[2]؛ حتىٰ أجعل وَجْنَة الغَبْراء، تسيل بحارًا من الدماء.

إنَّ المنيةَ لو تمثَّل شَخْصُهَا

لي في العِجَاجِ[3] طعنتُها في الأَوَل

وإِذَا حُمِلْتُ علىٰ الكَرِيهَةِ[4] لَمْ أَقُلْ

بَعْدَ الكَرِيهَةِ ليتَنِي لَمْ أَفْعَل[5]

(1) نفسه، ص 78.

(2) الثقاف: المستوية المستقيمة، والمرهفة: الدقيقة الحادة.

(3) العَجَاج: الغُبار.

(4) الكريهة: الحرب.

(5) البيتان أيضًا لعنترة، راجع: ديوان عنترة ص 252، تحقيق ودراسة محمد =

والويل لك يا غضبان، إذا التقىٰ الجمعان. وسأجرعك الموت الأحمر[1] بحد حسامي الأبتر.

ألا في سـبيلِ المَجْـدِ مـا أنـا فاعـلٌ
عَفـافٌ، وإقْـدامٌ، وحَـزْمٌ، ونائِـلُ
يُهـم[2] الليـالي بعـضُ مـا أنـا مُـضْمِرٌ
ويُثْقِـلُ رَضْـوَىٰ بعـض مـا أنـا حامِـلُ
وأغـدو، ولـو أنّ الـصّباحَ صـوارِمٌ
وأَسْـرِي، ولـو أنّ الظّـلامَ جَحافـلُ
ولي مَنطقٌ لـم يـرْضَ لـي كُنْهَ مَنزلـي
علـىٰ أنّنـي فـوق الـسِّمَاكَينِ[3] نـازِلُ
يُنـافسُ يـوْمي، فيَّ أمـسي، تَـشرّفًا
وتَحـسدُ أسْـحاري علـيَّ الأصـائلُ[4]

=سعيد مولوي، وفيه:
"إنَّ المنيةَ لو تُمَثَّل مُثِّلَتْ مِثْلِي إذا نَزَلتْ بضَنْكِ المنزلِ".
(1) الموتُ الأحمر: الشديدُ.
(2) يقال: ليلة يَهْمَاء: بلا نجوم، شديدة العتمة والإظلام.
(3) السِّمَاكان: نجمان نيِّران، أحدهما في الشمال، والآخر في الجنوب.
(4) الأصائل: جمعُ الأَصِيل، وهي العَشِيُّ.

وطـــال اعتِـــرافي بالزمـــانِ وأَهْلِـــهِ
فلَــستُ أُبــالي مَــنْ تَغُــولُ الغَوائــلُ[1]

فلــو بــانَ عُنُقــي مــا تأسّــفَ مَنْكِبــي
ولــو مــاتَ زَنْــدي مــا بَكَتْــه الأنامــلُ[2]

نجاح لغانم: مولاي، إن أُمراء القبيلة قد أقبلوا.

غانم لنجاح: أهلًا بهم؛ فليدخلوا (**تدخل الأمراء**)

غانم لنفسه: إن مجيء الأمراء في هذا الزمان، لابد أن يكون لنبأ عظيم، ولعله هو أمر الغضبان

الأمراء لغانم: السلام علىٰ الأمير

غانم للأمراء: وعليكم السلام، تفضلوا يا أمراء العرب، وأفضل من دقَّ فوق الغبراءِ طنب[3]

الأمراء لغانم: إنه قد بلغنا ما فعله ابن أخيك الغضبان؛ فجئنا لنتفاوض معك في هذا الشان.

غانم للأمراء: ما الذي ترونه في هذا الأمر؛ فقد ضاق مني لأجله رحيب الصدر.

---

(1) الغَوائل: الدواهي، مفردها غَائِلَة.

(2) الأبيات لأبي العلاء المعري، راجع سقط الزند ص 193-194، "دون ما أنا حامل"، "بالزمان وصرفه"، و"بان عضدي".

(3) طُنُب: الطُّنْبُ والطُّنُبُ مَعًا: حَبْل الخِباءِ والسُّرادقِ وَنَحْوُهُمَا.

الأمير الأول: الرأي أننا نسير بجمعنا إليه، ونصبُّ أنواعَ البلاء عليه، من قبل أن يشن هو الغارة علينا، وتسري، لا سمح الله، أذيته إلينا.

الأمير الثاني: هذا هو الرأي السديد

الأمير الثالث: نعم، هذا هو الفكر الحميد

الأمراء لغانم: فلنذهب الآن، ونتأهب للحرب، ونستعد لملاقاة الطعن والضرب

(هنا يدخل أحد خدمة الأمير غانم ويقول بلهفة:)

مولاي، إن ابن أخيك الغضبان، ومعه جماعة من الفرسان، قد استاقوا كل ما في المرعىٰ، وتركوا من عارضهم علىٰ الأرض صرعىٰ، فالبدار البدار[1] لتجريعه السم الناقع، من قبل أن يتسع الخَرْقُ علىٰ الراقع[2]

الأمراء لغانم: هذا ما كنا نخشاه، ولكن لابد أن نسلبه[3] الحياة

الأمير للأمراء: هيا بنا نذهب، وللقائه نتأهب.

غانم للأمراء: سيروا بحفظ الله، وليكن ملتقانا عند المياه. **(ثم تخرج الأمراء)** .

---

(1) البِدار: الإسراع، وهي جملة تقال للحثِّ والإسراع.

(2) من الأمثال العربية، يُقَال للرجل إذا أفسد الشَّيْء فَيُؤْمَر بإصلاحه. راجع: جمهرة الأمثال 1/ 160.

(3) في النسخة التي اعتمدنا عليها: "نسبله".

غانم لنفسه: شُلَّت يداك يا غضبان، ولقيت المذلة والهوان، وسوف- عن قريب- تُرىٰ مُجندلًا علىٰ وجه الثرىٰ.

[**غانم لصباح**][1]: اذهبي يا صباح، وهيئي لي آلة الحرب والكفاح، وسِرْ أنت يا نجاح، وأَسرِج لي جوادي الصَّحصاح.

إنْ كنتَ تَعْلَمُ يا (غضبانُ) أنَّ يَدِي
قَصِيرَةٌ عَنْكَ فالأيامُ تَنْقَلِبُ

إنَّ الأَفَاعي وإنْ لانتْ مَلامِسُها
عِنْدَ التقلُّب في أنيابِها العَطَبُ

والخيلُ تشهدُ لي أَنَّي أُكَفْكِفُها[2]
والطَّعْنُ مِثْلُ شَرَارِ النَّارِ يَلْتَهِبُ

لي النُّفُوسُ، وللطَّيرِ اللحومُ، ولل
وَحْشِ العظامُ، وللخيَّالةِ السَّلبُ

ما زِلتُ أَلْقىٰ صُدورَ الخيلِ مُندفقًا
بالطَّعْنِ حتىٰ يَضِجَّ السَّرْجُ واللَّببُ[3]

---

(1) غير موجودة في النسخة.
(2) أُكفْكِفُها: أرُدُّها في الحرب.
(3) اللَّبَبُ: ما يُشدُّ علىٰ صَدْر الدابة، لمنع الرَّحْل والسَّرْج من التأخر.

فـالعُمْىٰ لـو كـانَ في أجفـانِهم نَظَـرُوا

والخُـرْس لـو كـانَ في أفـواهِهِم خَطَبـوا

والنَّقْعُ يومَ طِرادِ الخيلِ[1] يَشهدُ لي

والـضَّرْبُ والطَّعْـنُ والأقـلامُ والكُتُـبُ[2]

صباح لغانم: قد هيأتُ لك يا أَبَتَاه آلةَ الجلاد.

نجاح لغانم: وأنا يا مولاي، قد أسرجتُ لك الجواد.

غانم لنجاح: يا نجاح، كُنْ في خدمة مولاتك صباح.

نجاح لغانم: سمعًا وطاعة يا فارس قُضاعة. **(ثم يخرج الأمير غانم)**

(هنا يُترآىٰ حسام الدين ونديمه نديم وخادمه سليم قادمون من بعد)

حسام لنديم: لقد لقينا من سفرنا هذا أعظم نَصَب، فيا ليت أننا ما دخلنا يا نديم جزيرة العرب. وحبذا لو أننا عند خروجنا من الديار المصرية، توجَّهنا إلىٰ هاتيك الرياض الأندلسية، ولكن هذا قضاء الله، ولا راد لما قضاه.

---

(1) طِرادِ الخَيْل: عَدْوُها وَتَتَابُعُهَا.

(2) الأبيات لعنترة بن شداد، راجع شرح ديوانه، ص 25، وفيها: إنْ كنتَ تَعْلَمُ يا (نعمانُ).

نديم لحسام: أما حسَّنتُ لك يا مولاي ذلك، ونفَّرتُك من سلوك هذه المسالك؟!

حسام لنديم: بلىٰ، قد نفَّرتني من هذه الأماكن، ولكن ما قدَّر الله كائن، فلا تثريب ولا ملامة، ما دمنا في حيز السلامة، وإني أرىٰ علىٰ بُعْدٍ خيامًا منصوبة، وقبابًا مضروبة، فَسِرْ بنا لنقصدها ونرتاح عِندها.

صباح لنجاح: إني أرىٰ أناسًا علىٰ بُعْدٍ، فاذهب وائتني بخبرهم.

نجاح لصباح: أرجوك يا مولاتي أن تعفيني من ذلك؛ فإني أخاف أن يسقوني كأس المهالك

صباح لنجاح: اذهب من أمامي يا جبان، فلا عمرت بك أوطان **(ثم تتوجه نحوهم)**

صباح لهم: من أنتم أيها الكرام؟! ومن تكونون من الأنام؟!

نديم لصباح: هذا ابن أمير المؤمنين، مولاي الأمير (حسام الدين)، وأنا نديمه (نديم)، وهذا خادمه (سليم)، **(تقدم صباح وتقبل أذيال حسام الدين، فيجلس وعلىٰ يمينه نديم، ويقف سليم جهة الباب، وصباح واقفة أمامه، ونجاح وراءها[1])**

---

(1) في النسخة التي اعتمدنا عليها: "ورائها"!

حسام لصباح: من أنت أيتها الفتاة؟! وما لي أراك وحيدة في هذه الفلاة، وعلائم الحزن ظاهرة بين عينيك؟! فاجلسي وأخبريني بما لديك.

صباح لحسام: إنني يا بحر المكارم، صباح ابنة الأمير غانم، وهو أمير هذه القبيلة، والمعروف بين قومه بالمناقب الجميلة، وما تراه عليَّ من الأحزان، فهو ناشئ من ذهاب والدي لقتال ابن أخيه الغضبان، فإنه قد خطبني من أبي فضنَّ عليه بي؛ وذلك لكراهته له، وعدم ميلي إليه.

وأنا يا مولاي خائفة من ذلك الغضبان عليه!

حسام لصباح: ليكُن فؤادك يا صباح من هذه الجهة في ارتياح، فإني سأرسل إليهما الآن من يحضرهما إليَّ في هذا المكان.

حسام لنديم: يا نديم، إن هذه الفتاة قد حازت من الحسن أعلاه

نديم لحسام: هذا ما كنتُ من قبل ذلك أخشاه، فلا حولًا ولا قوةً إلا بالله.

حسام لنديم: اذهب يا نديم، وخذ معك خادمي سليم، وليكن دليلك هذا الخادم (**ويشير إلىٰ نجاح**)، وأَعْلِم بحضوري الأمير غانم، وأتني به وبابن أخيه الغضبان، بدون تأخير إلىٰ هذا المكان.

(يخرجون ويقول نديم وهو خارج: خَلاَ لَكِ الجوُّ فَبِيضِي وَاصْفِرِي) [1].

صباح للجمهور: صدق الله العظيم: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [2].

(ثم تلتفت إليه)

صباح لحسام: لقد تشرفتْ بقدومك يا مولاي جزيرة العرب، وأحرزت بتقبيل أقدامك نيل الأرب.

حسام للجمهور: يا سلام، ما أعذب هذا الكلام!

صباح لحسام: ما لي أراك يا مولاي في حيرة وذهول؟!

حسام للجمهور: آه! ماذا أقول؟!

صباح لحسام: لعلك يا مولاي قد تذكَّرتَ الأهل والوطن، وتفكرت في هاتيك المعاني والدِّمَن[3]

صباح للجمهور: حقًا إنَّ كل الحسن في العرب، وأنهم جرثومة الفضل وأَرُومَة[4] الأدب.

---

(1) مثل عربي أصله بيت شعر لطرفة بن العبد يقول فيه:

يا لك من قنبَرَةٍ بمَعْمَرِ خَلاَ لَكِ الجوُّ فَبِيضِي وَاصْفِرِي

ويضرب في الحاجة يتمكن منها صاحبها. مجمع الأمثال 1/ 239.

(2) سورة يوسف، الآية 31.

(3) الدِّمَن: الآثار.

(4) الأَرُومةُ: الأَصْل.

(يدخل أحد خدمة الأمير غانم ويقول بلهفة:)

مولاتي إن ابن عمك الغضبان قد أسر والدك في حَوْمَةِ الميدان[1]، وها هو مقتفٍ أثرنا، وعما قريب يكون هنا، فالهرب يا مولاتي الهرب؛ من قبل أن يحل بكِ العطب.

حسام للخادم: اخرس يا كشحان[2]، فلا كنت ولا كان الغضبان.

صباح لحسام: ويلاه قد زادت كربي، وسَاءَنِي الدَّهر بأَسْرِ أبي، وإني أخاف أن يَسْبِيَني الغضبان؛ وأبقى[3] أحدوثة في فم العربان. وليس لي اليوم من ناصر ولا معين، سواك يا مولاي حسام الدين؛ فأنقذني من أنياب هذه النوائب، فقد أنشَبَتْ فيَّ أظفارها المصائب.

حسام لصباح: لا تحزني يا صباح، فوحقِّ فالقِ الإصباح[4] لابد أن أجعل ابن عمك الغضبان، معفر الوجه فوق الصحصحان؛ فاذهبي وأتيني بآلة الحرب؛ لأريه كيف يكون الطعن والضرب. **(تذهب)**

---

(1) حَوْمَةُ الْحَرْبِ: أَشدُّ موضعٍ فِيها.

(2) الكشحان على وزن فعلان. والكاشح الذي يضمر لك العداوة، يقال كَشَحَ له بالعداوة وكاشَحه بمعنًى.

(3) في النسخة التي اعتمدنا عليها: "وأبق".

(4) في النسخة التي اعتمدنا عليها: " فوحق فالحق".

حسام لنفسه:

إذا خَـــصمي تَقَاضَـــاني بـــدَينٍ
قــضيتُ الــدَّينَ بــالرُّمحِ الرُّدَينـــي[1]

جهلــتم يــا بنــي الأنــذالِ قَــدْري
وقـــد عرَفَتـــهُ أهـــلُ الخَـــافِقينِ[2]

علــوتُ بــصَارمي وســنانِ رُمْحــي
علـــىٰ هـــامِ الـــسُّهىٰ والفَرْقـــدينِ[3]

وكــم مــن فــارسٍ أضــحىٰ بــسيفي
هــشيمَ الــرأسِ مخــضوبَ اليــدينِ

وســوف أُبيــدُ جمعَكُــم بــصبري
ويُطفَـــىٰ لاعِجِـــي وتقـــرُّ عَينـــي[4]

(1) من الرماح المعروفة بجودتها في الجاهلية، وقد نسبت إلىٰ رُدَينَة وهي امرأة في الجاهلية كانت تسوي الرماح بخط هجر [تاج العروس 35/ 86].

(2) الخافِقَان: المشرق والمغرب.

(3) السُّهىٰ: نجم صغير خافت الضوء. والفرقدان: نجمان قيل إنهما لا يغربان.

(4) الأبيات لعنترة بن شداد، ديوان عنترة، طبع علىٰ نفقة خليل خوري ص 86، وفيه "أفق السهىٰ" بدلا من "هام السهىٰ".

صباح لحسام:

وَدُونَــك ســيدِي تِرْسًــا وسَــيْفًا

بــه تَــسْقِي الأَعَــادِي كَــأْسَ حَــيْنِ[1]

حسام لصباح: ها أنا يا صباح ذاهب إليه؛ لكي أخطف روحه من بين جنبيه، فطيبي نفسًا، وقرِّي عينًا، وقومي الآن وودعيني، ولمالك الملك دعيني.

(هنا يهجم عليه الغضبان ومن معه من الفرسان وهو يقول: اليوم أنالُ المنىٰ ويزولُ عن قلبي العَنَا)

حسام للغضبان: وراءك[2] يا غضبان، وإياك أن تقرب من هذا المكان؛ فإن دون مرامك طعنًا يهد الجبال، وضربًا يشيب لهوله الولدان والأطفال.

الغضبان لحسام: من تكون أنت أيها الفتىٰ؟! ومن الذي بك لهذا المكان أتىٰ؟!

حسام للغضبان: لا تسل عن ذلك يا مَهِين، فأنا البطل حسام الدين.

الغضبان لحسام: اذهب من أمامي، وإلا علوت رأسك بحسامي.

---

(1) الحَيْن: الهلاك.

(2) في النسخة: "ورائك".

حسام للغضبان: اخسأ يا غضبان ودونك الحرب والطعان (**ويحملان علىٰ بعضهما**)، ثم يُنشد حسام الدين:

حادثـــاتُ الـــدهرِ تـــأتي بالبِـــدع

ترفـــعُ العبـــدَ وللحـــرِّ تـــضعْ

خلّ يا (غضبان) عن نار الوَغَىٰ[1]

واتْبِـــع الحـــقَّ، ودعْ عنـــك الطمـــعْ

لـــستَ أهـــلًا لـــ(صـــباح)، لا، ولا

مثلهـــا مـــع مثلـــك الـــدهرُ جَمـــعْ

فاسْـــل عنهـــا، قـــد حَوَاهـــا سـيدٌ

ســـيفُهُ لـــو ضَـــربَ الـــصخرَ انقطـــعْ

يـــا لقـــومي إنـنـــي نلـــتُ المُنـــىٰ

وانجلـــىٰ هَـــمُّ فـــؤادي، وانـــدفعْ[2]

الغضبان لحسام الدين:

يا حسامَ الدينِ أَغْوَاكَ الطَمَع

سَـــوْفَ تَلْقَـــىٰ فَارِسًـــا لا يَنْـــدَفِع

---

(1) الوَغَىٰ: الحرب.

(2) وردت هذه الأبيات في ديوان عنترة (ط الخوري) ص 49

يـا حـسامَ الـدينِ كـمْ صـيدٍ نَجَـا

خـــالي البـــالِ وصـــيادٍ وَقَـــع

إنْ تكـنْ تـشكو لأوجـاعِ الهَـوَىٰ

فأنـــا أَشْـــفِيكَ مـــن هـــذا الوَجَـــع

بحـــــسامٍ كلَّمـــــا جَرَّدتُـــــهُ

في يَمِينـــي كيـــف مـــا مَـــالَ قَطَـــع

يـــا حـــسامَ الـــدينِ عَمِّـــي ظَـــالِمٌ

وعلـــيكم ظُلْمُـــهُ اليـــومَ وَقَـــع[1]

(ثم يحملان علىٰ بعضهما حملةً ثانية، وبعد هنيهة ينشد حسام الدين) :

أنـا يـا صَـبَاح دون وصْـلِكِ بَـاذِلٌ

رُوحِـــي ولـــو أن الأنـــامَ عَـــوَاذِلُ

هيهـاتَ يَـشغلُني بِغيّـرِكِ شَـاغِلٌ

ولقـــد ذكرتُـــك والرمـــاحُ نَوَاهِـــلُ

مِنِّي وبِيضُ الهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي

(1) نفسه ص 50، ومطلعها:

يا (أَبا اليَقظانِ) أَغواكَ الطَمَع ... سَوفَ تَلقىٰ فارِسًا لا يَندَفِع.

لكِ قَامَةٌ ما زِلتُ أَعْشَقُ لُدْنَهَا[1]

ولأَجْلِهـا أَهْـوَىٰ الرِّمَـاحَ وطَعْنَهَـا

يـا ظبيـةً ضَـحِكَتْ فأبـدت سِـنَّهَا

فَــوَدِدتَ تقبيــلَ الــسيوفِ لأَنَّهــا

لمعتْ كبارقِ ثَغْرِك المتبسمِ[2]

(ثم يحملان علىٰ بعضهما مرة ثالثة، وبعدها يضربه حسام الدين بالسيف ويقول: خُذها يا مَهِين، مِن كَفِّ حسام الدين، فيقع علىٰ الأرض، وعندها تهجم الفرسان علىٰ حسام الدين، وبوقتها يدخل الأمير غانم ونديم وسليم وهم يقولون: هلكتم يا غادرين، هذا ابن أمير المؤمنين، فيخرون للأرض ساجدين، ثم يتقدم الأمير غانم، ويقبِّل أذيال الأمير حسام الدين)

غانم لحسام: الحمد لله علىٰ سلامتك أيها الأمير الجليل، ولك الشكر يا مولاي علىٰ صنيعك الجميل.

مولاي أوليتَنِي مِن فيضِ فضلِكَ لِي

مـا لـستُ أُحْـصِي ثَنَـاه مُـدَّةَ العُمُـرِ

---

(1) اللُّدْن: اللِّين.

(2) هذا النص تخميس لأبيات مشهورة تنسب عنترة بن شداد، للبيتين المضمنين، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد القرشي، ص 377. وانظر أيضًا المرقصات والمطربات ص 16.

شـكرًا لبـيضِ أياديـكَ التـي غَمَـرَتْ

أهـلَ البَـسِيطَةِ[1] مـن بـدوٍ ومـن حَـضَرِ

حسام لغانم: إننا يا غانم ما فعلنا إلا ما تقتضيه الغيرة علىٰ المحارم.

وما سبب خلاصك من يد قناصك؟!

غانم لحسام: إن سببه نديمك نديم وخادمك سليم، فإنهما عندما شاهداني في الأسر أُقاسي أنواع العذاب والضُّر، أعلما من حولي من الشجعان، بتشريف جنابك إلىٰ هذا المكان، فوقعوا علىٰ الأرض ساجدين، عند سماع اسمك يا مولاي حسام الدين؛ وذلك بسبب عدل والدك فيهم، وتراكم إحسانه عليهم. فجزاكما الله عني أحسن الجزاء، يوم العرض والجزاء.

حسام لغانم: الحمد لله علىٰ ذلك، وإنقاذك من أنياب المهالك.

غانم لحسام: أرجوك يا مولاي أن تتشرف صباح دائمًا بخدمتك، وأن تكون أَمَةً لك في سفرك وإقامتك، فإنها أسيرةُ بِرِّك، ورهينةُ أمرك.

حسام لغانم: بارك الله فيك يا غانم، وإننا سنفيضُ عليك وعليها سِجَال المكارم.

---

(1) البسيطة: الأرض الممتدة الواسعة.

نـديم لحـسام: مـولاي قـد طـال علـىٰ والـدك أمـدُ الانتظـار، ومـضت لنـا مـدة مديـدة في هـذه الـديار، وقـد أتمنـىٰ الغـرض المقصود، وما علينا يا مولاي إلا أن نعود.

حسام لنـديم: حقًـا لقـد صـدقتَ يـا نـديم فيمـا نطقـت، فلنتهيـأ للمسير الآن بدون تعويق ولا توان.

غـانم لحـسام: مـولاي، هـذه الأبطـال والـشجعان. متأهبـة لأن تسير بخدمتك إلىٰ الأوطان.

حـسام لغـانم: لا أرْغَـبُ أن أعـود إلا كمـا جئـتُ يـا غـانم، ولكن عليك أن تتمم لابنتك جميع اللـوازم، وحـين وصـولي إن شـاء الله بالـسلامة لأوطـاني، أَبعـثُ لإحـضاركما المـوكـب الملوكـاني، وهنـاك نحظـىٰ بـأُنس الاجتمـاع، فقومـوا بنـا الآن للوداع.

غانم لحسام:

بحفظِ اللهِ سِرْ يا خيرَ مَوْلَىً
تَحُـفُّ بـك الـسلامةُ والبقـاءُ

فأرضٌ بِنْتَ عنها فهي قَفْـرٌ
وأرضٌ قـد حلَلـتَ بهـا سـماءُ

حسام لغانم:

لقــد زوَّدتَنَــا حمــدًا وشــكرًا
فطــابَ بمــدحِنَا مِنــكَ الثنــاءُ
حبــاكَ اللهُ غايــاتِ الأَمَــانِي
وأعطــاكَ المهــيمنُ مــا تــشاءُ
إذا حُــمَّ[1] النَّــوىٰ يومًــا، فأَبْــشِرْ
فمــا بعــد النَّــوىٰ إلا اللقــاءُ
وهــذي حالــةُ الــدنيا: فيــومٌ
نُــسَرُّ بــه، وفي يــوم نُــسَاءُ
وإنْ شــاءَ المهــيمنُ عــن قريــبٍ
بكــم نَحظَــىٰ ويكتمِــلُ الهنــاءُ



(1) حُمَّ الشيءُ وأُحِمَّ أَي: قُدِّر.

الفصل الرابع

(ترفع الستارة عن الأمير غصوب وصديقه زيدان، وغصوب ينشد)

لا صُنتُ عِرْضِي ولا أحسنتُ للجارِ
إنْ لمْ أكُنْ آخذًا يا قوم بالثارِ
أنا الذي تُرهِبُ الأبطالَ سطوتُهُ
إنْ جَالَ يومَ الوَغَىٰ في وَسْطِ مِضْمارِ
لا أرهبُ الموتَ في يومِ الزِّحافِ ولا
أَهْوَىٰ الحياةَ لدىٰ ضربٍ بِبَتَّارِ
تسمو علىٰ الفَلَكِ الدَّوَّارِ لي هِممٌ
في كسْبِ محمَدَةٍ أو نيلِ أوطارِ
لا عَزَّ جاري ولا وفَّيتُهُ ذِممًا
إنْ لم أكنْ كاشفًا بالسيفِ عن عارِ

زيدان لغصوب: ما لي أراك يا صديق غصوب، تلهج بذكر الوقايع والحروب. وتترنم بهذه الأشعار، المهيجة علىٰ أخد الثار وكشف العار؟!

فهل لك ثار عند أحد من الأنام، قد لحقك العار بسببه يا ابن الكرام؟!

غصوب لزيدان: أمَا بلغك أن حسام الدين قد قتل ابن خالتي الغضبان، وألبسنا من أجله ثوب العار بين قبائل العربان؟!

زيدان لغصوب: نعم، بلغني ذلك أيها الأمير. وما سبب قتله لذلك البطل الخطير؟!

غصوب لزيدان: اعلم يا صديقي زيدان أن ابن خالتي الغضبان قد عشق صباح ابنة الأمير غانم، وأصبح فؤاده في حبها هائم، وخطبها من أبيها، بعد ما اشتهر أمر حبه فيها، فرفض خطبته حسب عوائد العرب، فخرج من عنده وقد امتلأ فؤاده بالغضب. وقد تعلق بها حسام الدين بعد ذلك، وسقىٰ ابن خالتي لأجلها كأس المهالك، ولابد لي أن آخذ منه بالثار.. وأكشف عنه بقتلة المذلة والعار. لاسيما ووزير والده حازم، قد كلفني بأن ألقيه في العذاب الدائم، ووعدني في جوابه بأنني متىٰ أتممتُ له هذا القصد؛ جعلني أميرًا علىٰ سائر بلاد نجد. والآن قد تعددت علىٰ هلاكه الأسباب، ولا أرىٰ مناصًا من أن أذيقه أليم العذاب.

زيدان لغصوب: تأنّ يا مولاي ولا تعجل، وخذ الأمر بالسكون في العمل، فإن مَن تأنّ سلم، ومن تعجل ندم. وانظر في

عواقب ما أنت عازم عليه، وطامح بطرفك عليه، فإنَّ ذلك لا تحمد عقباه ولا يسر منتهاه. ولا تغترْ بكلام ذلك الوزير الخائن، ولا تَنْطَلِ عليك زخارف وعوده فإنه كذاب مَائِن[1]. ولا تأخذك في أمرك الحمية الجاهلية، وتبصَّر بعواقبه، وكنْ من أصحاب التأنِّي والرَّوِيّة.

قد يُدركُ المُتأنِّي بعضَ حاجَتِهِ
وقدْ يكونُ مع المُستعْجِلِ الزَّلَلُ[2]

غصوب لزيدان: ما هذا الكلام يا زيدان؟! أجبنت وما عهدتك بالجبان؟! أتأمرني بترك أخذ الثار؟! وكشف المذلة عني والعار، وذلك أمر دونه ضرب السيوف، وشُربُ أَكْؤُسِ[3] الحُتُوف[4]، وهل أترك دم ابن خالتي يذهب سُدىٰ، وأكون بعد ذلك من أهل التبصر والاهتدا[5]؟!

كلا، ثم كلا، فلابد أن أضرب بالسيوف وأطعن بالرماح؛ حتىٰ

---

(1) مَائِن: كَاذِب.

(2) البيت ينسب لغير واحد، كالنابغة، انظر: الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، 11/ 26. وينسب أيضًا للقطامي التغلبي، انظر: جمهرة أشعار العرب للقرشي، ص 74.

(3) في النسخة: "أكوسي".

(4) الحَتْف: الموت والهلاك.

(5) في النسخة: "الاهتداء".

تـضجَّ إلـىٰ خالقهـا الأرواح. فـلا تـسمني أن أحمـل الـضيم[1] والمذلة. ولا تكلفني أن أسلك هذه الخطة المُذِلَّة.

وهــل يُقــيمُ علــىٰ ضَــيْمٍ يُــرادُ بــه
سوىٰ الأَذَلَانِ عِيرُ الحَيِّ والوَتَد؟![2]

زيدان لغصوب: مولاي، إنَّ اللبيب من تبصَّر بالعواقب، قبل تعرضه لحادثات النوائب. أتظن أنك تسعىٰ في هلاك حسام الدين، وتكون بعده أنت وقومك في هذه البلاد من الآمنين؟!

كلا، ثم كلا، إنَّ دون ذلك خراب هذه الديار، وإهراق دماء أهاليها وتقصير الأعمار.

فلا تُلقِ بنفسك وقومك في هذه التهلكة؛ فإن حسام الدين ابن الملك ووحيد الملكة، فانظر فيما أقوله لك بعين الناقد البصير، فلا ينبئك مثل خبير. وأفق من سكرة هذه الحِدَّة، فرحم الله مَن عرف حَدَّه فوقف عنده.

غصوب لزيدان: ويحك يا زيدان ما هذا الكلام؟! فإنه أشد عليَّ من ضرب الحسام.

---

(1) الضَّيْمُ: الظُّلْم.

(2) البيت للمتلمس الضبعي، انظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، 6/ 324. وروايته: (إِلاّ الأَذَلاّنِ).

أتحسب أنني أهاب الملوك العظام، أو أخاف سطوة أحد من الأنام، وأنا أعلم أن العز تحت ظلال السيوف، واقتحام نيران الحرب وشرب كأس الحتوف؟!

وهل الشجاعة إلا صبر ساعة، وأنت تعلم أنه لولا الرمح والسيف، لكثر الجَوْر والحَيْف، وأنه من اقتصر علىٰ التبصر والاحتمال، وطئته أقدام الجهلة الأرزال، وهل كُتب القتل والقتال؛ إلا علىٰ صناديد الرجال؟!

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا

وعَلىٰ الغَانياتِ جَرُّ الذيولِ[1]

زيدان لغصوب: مولاي، احذر تغنم، وتفكر تسلم، فإن هذه العزيمة وخيمة العواقب، لا تصفو لك منها المشارب. وليس ما أنت قادم عليه من باب الشجاعة، بل هو من باب تكليف النفس بما فوق الاستطاعة، فلا ترم نفسك في هذه المعاطب، فما أنت ظافر بنيل المآرب.

واحذر أن تجعل نفسك عبرة بين الأمم، وإياك أن تقف بحيث

(1) البيت لعمر بن أبي ربيعة، ديوانه، ص 304، وفيه "المحصنات" بدلًا من "الغانيات".

تزل بك القدم، فإني أُعيذك أن تسعىٰ عن حتفك بظِلْفِك[1]، أو تكون جادعًا مارنَ أنفك بكفك[2].

فاقبل مني ما أشرت به عليك، ولا تجر البلاء لنفسك بيديك.

ولقد نصحتُكَ فاستمعْ لنصِيحَتِي
فالنُّصْحُ أَغْلَىٰ ما يُباعُ ويُشْتَرىٰ

غصوب لزيدان: لا، لا، أنا لا أرضىٰ بالحياة الذميمة، ولا أتحمل أعباء المذلة والهضيمة[3]، ولابد لي من أخذ الثار، ولو شربتُ لأجله كأس البوار، فموت الفتىٰ عزيزًا تحت ظل القسطل[4]، خيرٌ له من أن يعيش بالذل طويل الأجل. ولا بِدع أني مسَّني يوم الكريهة[5] سنان لَهْذَم[6] فليس الكريمُ علىٰ القَنَا بمحرَّمٍ[7]، فامسك عن ملامتي

---

(1) الظِلْف: الحافر، ومارن الأنف: طرفه. والعبارة من الموروثات. قال ابن الجوزي: "ويحك أتبحث عن حتفك بظلفك وتجدع بسيفك مارن أنفك". المدهش، أبو الفرج ابن الجوزي، ص530.

(2) جَدَعَ: قَطَعَ.

(3) هَضِيمة: ظُلْم.

(4) القَسْطَلُ: الغبارُ، وأرد به غبار المعركة.

(5) الكريهة: الحرب.

(6) لَهْذم: حادّ.

(7) شطر بيت من معلقة عنترة بن شداد، يقول:

كَمَّشتُ بالرمح الطويلِ ثيابه ليسَ الكريمُ علىٰ القَنَا بمحرَّمِ

انظر: شرح ديوان عنترة، ص174.

فامسك عن ملامتي والتعنيف، ولا تكن جبان القلب ضعيف، فليس الجبن يطيل الآجال، ولا الشجاعة تُقصِّر الأعمال الطوال، وأقسم بمالكِ يومِ العرضِ لا بد أن آخذ بالثأر من حسام الدين، فلا كلام إذن بيني وبينك في شأن ذلك، وسيري كلٌ منَّا عاقبة ما هنالك.

(شعر)

هو الموتُ؛ فاخترْ ما علا لك ذِكرُهُ
ولم يَمُت الإنسانُ ما حَيِيَ الذكرُ
ولا خيرَ في دفعِ الرَّدَىٰ بمذلةٍ
كما ردَّها، يومًا، بسوأتِهِ عمرو
فإنْ مِتُّ فالإنسانُ لا بدَّ ميِّتٌ
وإنْ طَالَت الأيامُ، وانفسحَ العُمْرُ
ونحنُ أناسٌ، لا توسُّطَ بيننا
لنا الصدرُ، دونَ العالمينَ، أو القبرُ
تهونُ علينا في المعالي نفوسُنا
ومَنْ خَطَبَ الحَسْناءَ لم يَغْلِهَا المهرُ[1]

---

(1) الأبيات لأبي فراس الحمداني، راجع ديوانه، ص 165، وفيه "فإن مت"، و"لا توسط عندنا".

زيدان لغصوب: ها أنا ذاهب من هذا المكان، وسترىٰ عاقبة ما تُسوِّله لك نفسك ويزينه في عينك الشيطان.

غصوب لمطيع: يا مطيع.

مطيع لغصوب: لبيك يا مولاي

غصوب لمطيع: اذهب بالحال، وائتني بطارقة الليالي.

غصوب لنفسه: ويلٌ لزيدان..

أمثلي يخاف الموت، أو يخشىٰ الفَوْتَ، وأنا الذي ترهب الملوك سطوتي، وتتقي الأبطال يوم الكريهة حملتي؟!

سِوَايَ يَهاَبُ الموْتَ أَو يَرْهَبُ الرَّدىٰ
وغيرِي يَهْوَىٰ أَنْ يَكونَ مخلَّدَا

ولكنَّني لا أَرْهَبُ الدهرَ إِنْ سَطَا
ولا أَحْذَرُ الموتَ الزُؤَامَ إِذَا عَدا

ولو مدَّ نَحْوي حادِثُ الدهرِ كَفَّهُ
لحدَّثت نَفْسِي أَنْ أَمُدَّ لَهُ يَدا

توقُّدُ عَزْمِي يتركُ الماءَ جَمْرَةً
وحِلْيَةُ حِلْمي تَتْرُكُ السَيْفَ مبْرَدَا

وأَظمــأُ لــو أَبْــدَىٰ لــي المــاءُ مِنَّــةً

ولــو كــانَ لــي نَهْــرُ المجــرَّة مَــوْرِدًا

ولـــو كـــان إِدراكُ الهُـــدىٰ بتـــذلُّل

رأَيــتُ الهُــدَىٰ أَلَّا أَمِيــلَ إِلــىٰ الهــدا

وقِــدْمًا بغيــري أَصْبَــح الــدَّهرُ أَشْــيَبًا

وبــي؛ وبعَزمِــي، أَصْبَــح الــدَّهرُ أَمْــرَدَا

ومَــا أَنــا راضٍ أَنَنــي وَاطِــئُ الثَّــرىٰ

ولــي هِمَّــةٌ لا ترتــضي الأُفْــقَ مَقْعَــدا

ولــو عَلِمَــتْ زُهْــرُ النجــومِ مَكــانَتي

لخــرَّتْ جميعًــا نَحْــوَ وَجْهِــيَ ســجَّدا

وإِنَّــك عبــدي يــا زَمَــانُ، وإِنَّنــي

علىٰ الكُـرْهِ منِّي أَنْ أُرَىٰ لَـكَ سَـيِّدَا[1]

(هنا يدخل طارقة الليالي)

طارقة لغصوب: سلام علىٰ الأمير.

غصوب لطارقة: وعليك السلام، تفضل. اعلم يا طارقة الليالي أن في المهمات تُعرف الرجال، وأنِّي ما اتخذتك عضدًا لي

(1) الأبيات لابن سناء الملك، وقد وردت برواية قريبة من ذلك، راجع ديوانه، ص 165.

وساعدًا[1]، إلا لتكون لي في الملمات معينًا ومساعدًا. وما أفضت عليك سحائب نعمي؛ إلا لتكون في الضيق كاشفَ غُممي.

طارقة لغصوب: مولاي، بدون هذه المقدمات، مُرْني بما شئت ولو بهدم السموات؛ فإنِّي لك سميع، ولتنفيذ أمرك مطيع.

غصوب لطارقة: اعلم أن حسام الدين نجل أمير المؤمنين قد قتل ابن خالتي الغضبان، وألحق بنا بين العرب المذلة والهوان.

وقد انتدبتك لأنْ تذهب إليه أنت وبعض الفرسان، وتَكْمَن[2] له في وادي زَرُودَ[3] وتأتني به أسيرًا إلىٰ هذا المكان.

وحذار من التهاون في أمره حذار؛ فإنه من الأبطال الذين لا يصطلىٰ لهم بنار.

واعلم يا طارقة الليالي أنه لم يكن معه سوىٰ نديمه نديم وخادمه سليم.

طارقة لغصوب: مولاي، ألمثلي يُقال هذا الكلام، وأنا الذي تهابني الأجنة في الأرحام؟!

فلابد أن أذهب إليه مُفرَدًا، وآتيك به في الأغلال مصفَّدًا.

(1) في النسخة: "عضوًا - ومساعدًا".

(2) كَمَنَ: استخفىٰ في مكان بحيث لا يُرىٰ.

(3) وادٍ يقع حاليا في تونس.

غصوب لطارقة: لا تفعل ذلك يا طارق الليال، وخذ معك يا فارس العصر بعض الأبطال.

طارقة لغصوب: ها أنا ذاهب إليه في هذه الساعة، امتثالًا لأمرك وطاعة؛ فكن براحةٍ من جهة ذلك، فسوف عن قريب ألقيه في مهاوي المهالك.

غصوب لطارقة: لا خاب فيك الأمل؛ فسِرْ إليه بالعجل.

يخرج ويقول وهو خارج:

ستلقىٰ يا حسامَ الدينِ شَهْمًا
يُخيفُ[1] الأُسْدَ في يومِ الصِّدَامِ

وتخشاه الفوارسُ يومَ حربٍ
إذا قبضتْ يداهُ علىٰ الحُسامِ

غصوب لنفسه:

هكذا هكذا وإلَّا فلا لا
ليس كلُ الرجالِ تُدعىٰ رجال

الآن طاب خاطري، وقرَّ ناظري، وها أنا ذاهب الآن غير مفكر؛ لكي أُروِّحَ الروح[2] بلعب المسير.

---

(1) في النسخة: "تُخيف".

(2) في النسخة: "أروح لروح".

المنظر الثاني

(ترفع الستار عن حسام الدين ونديم وسليم وهم في واد فسيح)

حسام لنفسه:

جِسْمِي لبُعدِكِ يا صباحُ عليلٌ
والقلبُ فيه لَوْعةٌ وغليلٌ
يا مَن رَمَتْنِي في الهَوىٰ هل مِنْ دَوَا؟!
أوْ هل لطِيبِ الوَصْلِ منكِ سبيلٌ؟!

حسام لنديم: ما اسم هذا الوادي يا نديم؟ فقد أنعش فؤادي منه مَرُّ النسيم، وقد كان رَيَّاه[1] يطير بلُبِّي، ويذهب أريجه الفواح إلىٰ صباح بقلبي؟!

نديم لحسام: هذا يا مولاي وادي زرود، المُحيي بنشره فؤادَ كل عاشقٍ منجودٍ، وهو الذي تشبَّبَ فيه شعراء العشاق، وتلهج بذكره أرباب الصَّبَابة والأشواق.

حسام لنديم: إني أرىٰ نسيمه قد أجَّج في فؤادي نار الغرام،

---

(1) الرَّيَّا: الريح الطيبة.

وذكَّرني أحباب قلبي وهاتيك الخيام، وشاقني إلىٰ من أودعتها الفؤاد يوم الفراق، وتحمَّلتُ لأجلها من الوَّجد والهيام ما لا يُطاق.

فكيف يا ترىٰ حالها من بعدي؟!

وهل عندها من الشوق مثل الذي عندي؟!

آه! ما أصعب الفراق علىٰ المتيم المشتاق!

هذا الليل قد أقبل وفؤادي من فرط الجوىٰ تملل..

آه! قد تقطعت يا نديم من البَيْن كبدي، وخانني في الغرام قواي وجَلَدي.

نديم لحسام: مولاي أَرِحْ فؤادك من هذا الهوىٰ، ودع عنك حمل أعباء الصبابة والجوىٰ، فأين أين أنت وصباح؟![1] وكم بينك وبينها من هضاب وبطاح؟!

فلا تكثر يا مولاي من ذكراها؛ فإن ذلك يزيدك ولوعًا في هواها.

حسام لنديم: ويحك يا نديم!

كيف لا أذكر حبيبة قلبي صباح؟! وأنَّىٰ يكون فؤادٌ بدون ذكراها في ارتياح؟!

---

(1) في النسخة "فأين أين وأنت صباح".

هيهات ذلك يا نديم، هيهات!

فلا أترك ذكراها- وايم الله- حتىٰ الممات.

جَـنَّ الظَّـلامُ وهـاجَ الوَّجْـدُ بالـسَّقمِ

والـشوقُ حـرَّكَ مـا عِـندي مـن الأَلَـمِ

ولوعـــةُ البـــينِ في الأحـــشاءِ قـــد

والوَجْــدُ صَــيرَني في حالــةِ العَــدَمِ

مَكَنَتْ والحزنُ أقلقني، والشوقُ أحرَقَني

والــدمعُ بــاحَ بوجــد أيّ مُكتــتمِ؟!

ولــيس لــي حيلــةٌ في الوصــلِ أعرفُهــا

حتـىٰ تُزحـزحَ مـا عنـدي مـن الغمـمِ

فنـــار قلبـــي والأشـــواقُ موقـــدةٌ

ومِــن لظاهــا يظــلُّ الــصبُّ في نقــمِ

يـا مْـن يلـومُ علـىٰ مـا حـلَّ بـي وجـرىٰ

أني صــبرتُ علــىٰ مــا خُــطَّ بــالقلمِ

أقــسمتُ بالحــبِّ مــا لــي ســلوة أبــدًا

يمــينُ أهــلِ الهــوىٰ مــبرورةُ القَــسَمِ

يــا ليــلُ بلِّــغ رواةَ الحــبِّ عــن خــبري

واشــهدْ بعلمِــكَ أَنِّــي فيــكَ لــمْ أَنَــمِ[1]

نديم لحسام: مولاي، ارْبَأ بنفسك المسكينة؛ فما تُجديك نفعًا هذه الأبيات الحزينة، بل تزيدك الأشجان والأشواق، وتجري من أفق جفونك سحائب الآماق[2]، وإننا قد أنهكنا النَّصَب، واستولىٰ علينا التعب، فقم بنا الآن لندخل هذا الغار، ونبيت[3] فيه إلىٰ أن يلوح لنا وجه النهار، فإننا إنْ بتنا علىٰ قارعة الطريق لا نأمن علىٰ أنفسنا من أذية عدو وصديق، وليس المخاطر بمحمود العواقب، ولو سلم من أنياب النوائب.

حسام لنديم: نِعْم ما ارتأيته يا نديم، فإنه– والله– فكر سليم.. فلندخل الغار في الحال، وعلىٰ الله الاتكال.

(ويدخلون الغار، هنا يظهر طارقة الليال، ومن معه من الرجال)

طارقة لمن معه: لا بد في هذه الليلة يا قوم من مرور حسام الدين فإياكم والنوم؛ فإن العيون والأرصاد قد أخبرتنا بأن هذه الليلة هي الميعاد، فليذهب كل منكم إلىٰ ناحية من هذا الوادي،

(1) المرقصات و المطربات، ص 16.

(2) الآمَاق: جمع مُؤْق، وهو مجرىٰ الدمع من العَيْنِ.

(3) في النسخة "نبات" والصواب هو ما أثبتناه.

وليكن قريبًا من صاحبه بحيث يسمع صوته حين ينادي، وحذار أن تأخذكم سِنة أو غفلة، فينفلت من أيدينا فنرجع بالخيبة والذلة!

مَن معه لطارقة: أمرك يا طارقة الليال، ها نحن ذاهبون بالحال.

(يخرج بعد ذهابهم حسام الدين)

حسام لنفسه:

نهـــيمُ بـــذكراكم إذا ليلُنـــا جَنّـــا
ويُطربنـا صـوتُ الحَمـامِ إذا غَنَّـىٰ
يمينًـا بمَـنْ في الحُـبِّ قـد قـرَّح الجَفْنـا
تـضيقُ بنـا الـدُّنيا إذا غِبـتمْ عَنَّـا
وتزهق بالأشواق أرواحُنا منا
إذا خـــامرَ الأرواحَ خمــرُ هـــواكُمُ
وحرَّكــت الأشـباحُ ذكـرَ لقــاكُمُ
ولـــم نـــستطعْ صـــبرًا وزادَ نـــواكُمُ
نعــيشُ بــذكراكُم إذا لــم نَــراكُمُ
إلا أن تذكار الأحبة ينعشنا[1]

---

(1) تخميس لبيتي أبي مدين التلمساني الأندلسي: ديوان سيدي الغوث أبي مدين، ص 95.

آه! كيف يواصل طرفي المنام وقد عبَثت بي أيدي الصبابة والغرام، واشتعلت في قلبي نيران الجَوَىٰ، وحرك ذكر صباح مني ساكن الوجد والهوىٰ، وتوالت عليَّ الهموم والأحزان، وتراكمت عليَّ ضعفي الآلام والأشجان؟!

آه! قد طال عليَّ الظلام، وازدادت بي الوساوس والأوهام، فهل لي من سبيل إلىٰ المنام عسىٰ أن تخفف عني بعض الأسقام؟!

وإني لأرىٰ هذا الموضع مُخْضَلّ الرُّبَىٰ[1]، معتل الصبا، فالأَولىٰ لي أن أنام فيه؛ عسىٰ أن يأتي خيال صباح فأوافيه.

طارقة الليالي: يا أهل الكمين، هذا- بدون شكٍ- حسام الدين، فإني سمعته يُشبِّب بذكر صباح، ذات المحاسن والجمال الفَضَّاح؛ فبادروا إليه، وتواثبوا عليه، وشدوا منه الأطراف، وأوثقوه بالكتاف[2]، وخذوا منه السلاح وهو في سنة المنام، فما أيسر هذا الوقَت لبلوغنا منه المرام.

(يخرجون ويحيطون به قائلين: نعم هذا هو المطلوب لأميرنا غصوب)

طارقة لمن معه: خذوه فغلوه، وإلىٰ الأمير أوصلوه.

(1) مُخْضَلّ: نَدِي.

(2) الكتاف: رباط يُشدُّ به المربوط.

(يضعون القيد برجله ويجرونه)

دور

حسام لهم: ما هذا العمل يا أهل **الذلل؟!**

خلوا عن بطلٍ سيفه يفني.

دور

هم لحسام: يا هذا الأذل، قد حان الأجل؛ فاذهب بالعجل، تلقىٰ في السجن.

طارقة لهم: اذهبوا به في الحال، ولا تُطيلوا معه المقال.

دور

حسام لهم: يا هذا، أقصرا عن هذا المِرَا، والحال أخبرا، قد بدا عذري.

دور

الجميع لحسام: لا عذر يرىٰ يا أشقىٰ الورىٰ؛ فاذهب كي ترىٰ أعظم الأسر.

(يأخذونه ويخرجون، هنا يظهر نديم وسليم ويقفان علىٰ باب الغار)

نديم لسليم: ويلاه!

أُسِر مولانا حسام الدين، وأُلقىٰ في العذاب المُهين، ولو اطلع

هؤلاء علينا؛ لأوصلوا أذيتهم إلينا.. كيف يا سليم بدون حسام الدين نلاقي أباه؟! فلا حول ولا قوة إلا بالله.

سليم لنديم: مولاي ما الرأي والتدبير في شأن هذا الأمر الخطير؟!

وكيف يكون العمل؛ فقد ضاقت بنا أوجه الحيل؟!

نديم لسليم: الرأي أن تذهب إلىٰ الأمير غانم وتُعلْمه الخبر، وتأتي به إلىٰ هنا علىٰ الأثر، وأنا أذهب من هذا الحين، وأتجسَّس أخبار مولاي حسام الدين.

سليم لنديم: هذا هو الرأي الصواب، والفكر الذي لا ينقض ولا يُعاب.

نديم لسليم: إذن فلنسير، وعلىٰ الله التيسير.

(يذهب كل واحد من جهة)



الفصل الخامس

(ترفع الستارة عن السجن وفيه حسام الدين ينشد)

حسام لنفسه:

يــا نفــسُ لا تــشتكي إلا لمــولاكِ

هل غيرُهُ يُرتجي في كشف بَلواكِ؟!

فهــو العلــيمُ الــذي لا تَخفــىٰ خافيــةٌ

عليـهِ، مهمـا خفـتْ عـن دَرْكِ إدراكِ

يــا نفــسُ صــبراً إذا نابتــكِ نائبــةٌ

أو حـادثُ الـدهرِ بـالأحزانِ فاجـاكِ

يـا نفـسُ لا تجزعـي ممـا دهـاكِ بـهِ

ريـبُ الزمـانِ، ولا تُبـدي لـشكواكِ

فالعــسرُ يعقُبُــهُ يُــسرٌ، وكــم فــرجٍ

مـن بعـد ضـيقٍ أتـىٰ، يـا نفسُ بـشراكِ

وأنــتِ يــا مهجتــي لا تغفلــي أبــدًا

عـن التـي قـد كَـوَتْ بالحُـبِ أحـشاكِ

صباحُ لولاكِ ما ضاقتْ بما رحُبتْ
علـــيَّ أرضٌ، وايـــمُ اللهِ، لـــولاكِ
ولا تحمَّلـــتُ أعبـــاءَ الغـــرامِ، ولا
قلبي غدا في الهوىٰ من بعدِ إسراكِ
ولا قتلـتُ الفتـىٰ الغـضبانَ يـومَ وَغَـىٰ
غـداةَ إذْ جـاء يـسعىٰ نحـو مغنـاكِ
ولا غـــدتْ هـــذه الأغـــلالُ في عُنُقـــي
ولا جـرتْ مِـن جفـوني دمعـةُ البَـاكِي
صـباحُ لـو تنظـرين اليـومَ مـا فعلـتْ
يـدا غـصوبٍ لفاضـتْ سُحْبُ عيناكِ
صـباح إنْ طـالَ بـي سـجني فـواحزني
وطـولُ شـوقي إلـىٰ رُؤيـا مُحيَّـاكِ
يـارب أنـت الـذي تُرجـىٰ مراحمُـهُ
في كـل نازلـةٍ، يـا رَاحـمَ الـشَّاكي
يـارب لطفـك فيمـا قـد ألـمَّ بنـا
مـن حـادثٍ بـصميمِ القلـبِ فتَّـاكِ

يارب قد ضاق بي رحبُ الفضاءِ، وقد
حكيتُ حالي؛ ففرِّج كُربةَ الحاكي

آه! ما هذه الأحزان المتفاقمة، والهموم المتراكمة؟!

وما هذه المصائب والمحن، والشدائد والإحَن[1]؟!

لقد عيل صبري، وضاق بي صدري، وخانني جَلَدي، وتفتتت أحشاء كبدي.

فأنقذني يا رباه برحمتك من هذه البلايا، وخلصني بفضلك من نوبِ هاته الرزايا.

وأجرني من جور هذا الدهر، وكن لي عونًا فيما ابتلاني به من المذلة والأسر.

فأنت المقصود في الشدائد وسواك لا يُقصد، وأنت المعتمد عليه في النائبات وغيرك عليه لا يعتمد.

كشفتَ بالفضل عن أيوب البلوىٰ، وأنزلتَ علىٰ موسىٰ وقومه المنَّ والسلوىٰ، ورددتَه يا مولاي إلىٰ أمه، وجعلتَ أخاه هارون وزيره وخلفًا عنه في قومه.

وأزلتَ عن يعقوب ما عراه من عوارض الحزن، وخلصت له

(1) الإِحَن: الأحقاد، ومفردها إِحْنَة.

ولده يوسف من ضيق السجن، فنعم المشتكي إليه أنت يا مولاي، ونعم النصير في كشف بلواي.

آهٍ! قَلَّ المعين والمساعد، ويئستُ عن الأقارب والأباعد.

يــارب قــد عــزَّ النــصيرُ ولــيس لــي
إلا جنابُـــكَ يـــا أعـــزَّ نـــصيرِ

يـــارب لا يُرجـــىٰ ســـواكَ لـــشدةٍ
قـــد طـــالَ فيهـــا أَنَّتِـــي وزَفِيـــرِىٰ

يـــارب إنْ جـــارَ الزمـــانُ فكُـــنْ أيـــا
ربـــاه مـــن جَـــوْرِ الزمـــانِ مُجيـــري

واجـــبرْ كـــسيرَ القلـــبِ فهـــو معـــذبٌ
في ســـجنِهِ يـــا جـــابرَ المكـــسورِ

فلقـــد يئـــستُ مـــن الأنـــامِ جمـــيعِهِم
وســـواكَ لا يُرجـــىٰ لحـــلِ عـــسيرِ

أواه مــن تقلبــات الأيــام، ونــشوب أظفارهــا بــالكرام، فكــم خفضت من رفيع، وكم رفعت من وضيع!

إن أَسَرَّتْكَ في مبتداها، أساءتك[1] في منتهاها..

---

(1) في النسخة: "أسائتك".

أواهُ مــــن حادثـــاتِ الــــدهرِ أواهُ
فكَــمْ أذابــتْ فــؤادَ الحُــرِّ بلــواهُ
والـدهرُ مـا زالَ بـالأحرارِ مِـن قِـدَمٍ
حليــفَ غــدرٍ تُفَــاجيهم رَزايــاهُ
يعْلــي اللئــامَ ويُــولِيهم مجاملــةً
منه ويخفضُ من طابتْ سَجاياهُ[1]
إنْ سُــرَّ في مبــدءٍ ســاءت نهايتُــهُ
وإن أُسَــرَّ انتهــاءً ســاءَ مبــداهُ
يــا حكمــةً خفيــتْ عنَّــا مــداركُها
وفي حقائِقهــا أهــلُ النُّهــىٰ تــاهوا

ليت شعري ما جرىٰ علىٰ نديمي نديم وخادمي سليم؟!

فهل هما يا ترىٰ باقيان علىٰ قيد الحياة؟! أم ذاق كل منهما كأس رداه؟!

آهٍ! قد ضاق بي رحب الفضا، فصبِّرني يا رباه علىٰ حكم القضا، واجمع بصباح شملي، ورُدني بالسلامة إلىٰ أهلي.

---

(1) السَّجايا: الطباع.

فعسىٰ الـذي أَهـدَىٰ ليوسفَ أهلَـه

وأعــزَّه في الــسجنِ وهْــوَ أســيرُ

أن يـستجيبَ لنـا ويجمـعَ شـملَنَا

واللهُ ربُ العــــالمينَ قــــديرُ[1]

قاسم لنفسه: لقد تفتت كبدي من عويل هذا الفتىٰ، فإنه لا يفتر عن النحيب من حين ما أتىٰ، يستنصر في كشف بلواه ولا نصير، ويستجير مما دهاه به الدهر ولا مجير، تهمي سحب مدامعه علىٰ خديه، ولا أخال من ينظر بعين الرحمة إليه. قد طالت حسراته وتصاعدت أنفاسه وزفراته، وما أدري ما الذي أوقعه في هذا السجن، وسبَّب له هذا الولوع والحزن؟ غير أني سمعته يشبب بذكر صباح في شعره، وينسب إليها أصل بلواه وضره، وما أظنه إلا هائم القلب بهواها، فإنه لا يغفل قلبه لحظة عن ذكراها، ولا أرىٰ بدًا من أن أذهب إليه، وأخفف عنه بعض حزنه المتراكم عليه، فإني قد ذقتُ في صباي لوعة الغرام، وعرفت ما يقاسيه المحب إن عبثت به أيدي الهُيَام[2]، لا سيما إن ابتلىٰ ببعد

---

(1) وردت في كتاب "طيب المذاق من ثمرات الأوراق" لتقي الدين ابن حجة الحموي من حديث إبراهيم بن المهدي، ص188.

(2) الهُيام: الجنون من العشق.

الحبيب وعلا[1] منه لنواه العويل والنحيب، فتبًّا لهذه الدنيا المفعمة بالأكدار، وسحقًا لهذا الدهر الخؤون الغدار.

وما هذه الأيامُ إلا فجائعُ
ولا العيشُ واللذاتُ إلا مصائبُ

حسام لنفسه:

أرىٰ الزمانَ، وإنْ أبدىٰ بسالمة[2]
لابدَ يومًا علىٰ الأحرارِ ينقلبُ
فلا يَغُرّك مِنهُ لينُ جانِبِهِ
فإنَّ لِينَ الأفاعي تحتَه العَطَبُ

قاسم لحسام: هوِّن عليك يا مولاي ما نابك، واصبر علىٰ ما أصابك، ولا تجزع لما مسّك من الضُّر؛ فإن العسر يعقبه اليُسر، والظلمة يغشاها البلج، والضيق يتبعه الفرج. ولا تيأس من لطف ربك، والجأ إلىٰ الله في تفريج كربك.

فصبرًا حسامَ الدينِ إنْ عنّ حادثٌ
فعاقبةُ الصبرِ الجميلِ جميلُ

---

(1) في النسخة "علىٰ".
(2) يقال: سالِمَةُ العَيْنَيْن أَي: حَسَنة، وبما تكون في الأصل (بسائمه).

ولا تيأسـنْ مـن لطـفِ ربِـكَ إننـي
ضمينٌ بـأنَّ الـصعبَ سـوف يـزولُ
ألــمْ تــرْ أنَّ الليــلَ بعــدَ ظلامِــهِ
علينــا لإســفارِ الــصباحِ دليــلُ [1]

حسام لقاسم:

لقد زدتني يا هذا بكلامك حزنًا علىٰ حزني، وهـان علـيَّ والله دونه أمر سجني.

آهٍ! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قاسم لحسام: عليك يا مولاي بجميل الصبر؛ فإن الحر صبور علىٰ نوائب الدهر.

تـصَبَّرْ ففـي الـلأواءِ[2] قـد يُحمـدُ الـصبرُ
ولــولا صــروفُ[3] الــدهرِ لــم يُعــرَف الحُــرُّ

---

(1) الأبيات للطغرائي مواسيًا معين الملك، وهي في الأصل هكذا:

فصبراً معين الملك إن عن حادث ... فعاقبة الصبر الجميل جميل
ولا تيئسن مـن صـنع ربـك إننـي ... ضـمين بـأن الله سـوف يزيـل
ألــم تــر أن الليــل بعــد ظلامــه ... علينـا لإسـفار الـصباح دليـل

ديوان الطغرائي، ص 45.

(2) اللأْواءُ: الشِّدَّةُ وَضِيقِ الْمَعِيشَةِ.

(3) الصُّرُوف: المَصَائِب.

وإن الــذي أبلــىٰ هــو العــونُ فانتــدبْ
جميلَ الرضــا يبقىٰ لك الذكـــرُ والأجـــرُ
وثــقْ بالــذي أعطــىٰ ولا تــكَ جازعًــا،
فلـــيس بحَـــزْمٍ أن يروعـــك الـــضُّرُ
فـــلا نعـــمٌ تبقـــىٰ ولا نقـــمٌ، ولا
يـــدومُ كـــلا الحـــالين: عـــسرٌ ولا يـــسرُ
تقلُّـــبُ هـــذا الـــدهرِ لـــيس بـــدائمٍ
لديـــهِ مـــع الأيـــامِ حُلـــوٌ ولا مُـــرُّ[1]

وأرجوك أن تخبرني يا مولاي عن أصل بلواك، وما به الدهر الخؤون رماك، ومَنْ هي صباح التي تذكرها في أشعارك، وتسأل الله أن يمنحك منها نيل أوطارك؟!

حسام لقاسم: هي يا هذا صباح ابنة الأمير غانم، من ظل فؤادي في حبها هائم، وهي ريحانة قلبي ومناه، وأصل شقائه وعناه[2]، وهىٰ التي أوصلني حبها إلىٰ ما ترىٰ، فبالله دعني ولا تسألني عما جرىٰ.

(1) الأبيات لإبراهيم بن عبد الرحمن السؤالاتي من كتاب نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة لمحمد بن أمين المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحبي، 1/ 28.
(2) يقصد "عنائه" فخفف الهمزة.

قاسم لحسام: أسأل الله أن يفرج كربك، وأن يكون في نَوْبِ[1] الزمان حسبك، ولا تيأس يا مولاي من روح الله، ولا ترج[2] في كشف بلواك سواه، ولا يكن صدرك من أجل ذلك في حرج؛ فليس بعد الضيق إلا الفرج.

كم ليلةٍ من هموم الدهرِ مظلمةٍ
قد جاءَ من بعدِها صبحٌ من البَلَجِ

ثم يلتفت ويقول: وهذا غصوب قد أقبل، فلا بد أن أذهب إليه بالعجل.

غصوب لقاسم: أين يا قاسم الأسير؟!

قاسم لغصوب: هو داخل السجن أيها الأمير.

غصوب لقاسم: عليَّ به؛ لأسلبه الحياة.

قاسم لنفسه: لا حول ولا قوة إلا بالله، ويا لهفي علىٰ زهرة حياة هذا الشاب، فإنه سيقتل مفارق الأهل والأحباب.

غصوب لنفسه:

اليومَ تُطفَىٰ غِلَّتي وأواري[3]
وأرىٰ فؤادي آخذًا بالثارِ

(1) نَوْب: مُصِيبة.

(2) في النسخة "ترجىٰ" والصواب ما أثبتناه، والفعل مخفف من تاء المضارعة.

(3) الأَوَار: اللهيب أو العطش.

لا خيـــرَ فـــيمن لا يكـــونُ بـــسيفِهِ
بـــين البريـــةِ كاشـــفًا للعـــارِ

(يُجاء بحسام الدين مُكبَّلًا بالحديد)

غـصوب لحـسام: أنـت الـذي قتلـتَ ابـن خـالتي الغـضبان، وجرّعتَه كأس[1] الحِمَام بحومةِ الميدان؟!

حسام لغصوب: نعم. أنا القاتل، فما الذي أنت فاعل؟!

غصوب لحسام: سأعلو رأسك بالحسام، وأجعلك عبرة بين الأنام.

حسام لغصوب: سوف ترىٰ يا غصوب علىٰ من تـدورُ دائـرةُ الخُطُوب[2]

غـصوب لحـسام: اسـكت يـا مهـان، فـاليوم آخـذ منـك بثـأر الغضبان.

حسام لغصوب: لا تقل ذلك يا نسل الأوغاد، فإن دون مرامِك خرطَ القَتَاد [3].

---

(1) في النسخة: "كائس".

(2) الخُطُوب: المصائب، مفردها خَطْب.

(3) "دون ذلك خرط القتـاد" مـن أمثـال العـرب، يـضرب للأمـر الـصعب الـشديد الذي لا يُستطاع إتيانه بسهولة، وذلك أن القتاد نباتٌ ذو شوكٍ كثيف صلب، لا يُستطاع لمسُه ولا خرطُه. مجمع الأمثال 1/ 265.

غصوب للسياف: هيا يا سياف، وشد منه المناكب والأطراف.

(يتقدم السياف ويكتفه ويضع المنديل علىٰ عينيه)

السياف لحسام: اركع.

غصوب للسياف: عجِّل يا سياف عليه، وأزح رأسه من بين كتفيه.

حسام للسياف: افعل ولا تتأخر؛ فقد طاب لي الموت الأحمر، ولست ممن يبالي بنائبات الدهر، وما قولي كذا ومعي الصبر.

تنكَّـرَ لـي دهـري ولـم يـدرِ أنَّنـي
أَعِـزٌّ، وأنَّ النائبـاتِ تَهُـونُ

وبات يُريني الخَطْبَ كَيْفَ اعْتداؤهُ[1]
وَبِـتُّ أُرِيـهِ الـصَّبْرَ كَيْـفَ يَكـونُ[2]

غصوب لحسام: لا تُكثر الكلام

السياف لحسام: استعد لشرب كأس الحِمام

حسام لنفسه: آه! أين عيناك[3] يا صباح تراني في هذه القيود والأتراح؟! وكيف تكون حالك يا ترىٰ من بعدي، ويا ليت شعري هل أراك قبل الممات عندي؟!

---

(1) في النسخة: "اعتدأوه".

(2) البيتان لمحمد بن أحمد الأبيوردي، راجع ديوان الأبيوردي، ص351.

(3) في النسخة "عينيك".

آهٍ، قد دنت المنية، وما نلتُ من وصالك الأمنية.

مني عليك السلام، يا طلعة البدر التمام.

السياف لحسام: خذها قد حان الأجل، وخاب منك الأمل.

(ويرفع يده بالسيف.. هنا يدخل بسرعة الأمير غانم وبعض رجاله، ونديم وسليم وصباح، وهي أمام الجميع وترمي نفسها علىٰ السياف، وتقبض علىٰ يده قائلة هذه الجملة).

صباح للسياف: شلت يداك يا مهين، خلّ عن مولاي حسام الدين.

حسام لصباح: صباح، صباح!

صباح لحسام: لبيك يا روح الأرواح..

حسام لصباح: أنتِ هنا؟!

صباح لحسام: نعم يا كُلَّ المنىٰ، **(ثم ترمي بنفسها عليه ويعتنقان مليًا، ثم يُنشد حسام الدين)**

ولـرُبَ حادثـةٍ يـضيقُ لهـا الفتـىٰ

صَـدرًا، وعنـد اللهِ منهـا المخـرجُ

ضاقتْ فلما استحكمتْ حلقاتُها

فُرجتْ، وكنتُ أظنُّها لا تُفرجُ[1]

(1) الأبيات منسوبة للإمام الشافعي، راجع ديوانه، ص39. وقيل أبو العباس إبراهيم بن العباس الصولي. البداية والنهاية، ابن كثير، 10/ 345، وللبيت روايات مختلفة كلها قريبة من قريب مما أوردناه.

حسام لغانم: أين يا غانم غصوب؟!

غانم لحسام: ها هو يا مولاي ملقىٰ في الأسر والكروب.

حسام لغانم: احتفظ يا غانم عليه؛ لأريه جزاء ما قدمه بين يديه، وأخبرني من الذي أخبرك بأمري، حتىٰ أتيت وكشفت عني ضُرِّي؟!

غانم لحسام: إن نديمك نديم قد أرسل إلىٰ خادمك سليم، فأعلمني الخبر، فأسرعت لخلاصك علىٰ الأثر.

حسام لغانم: بارك الله في هممك العوالي، ورقَّاك هاماتِ المعالي، وما بقىٰ علينا يا غانم الآن إلا أن نتوجه نحو الأوطان.. فخذوا أهبة المسير.

غانم لحسام: أمرك أيها الأمير.

(يقومون وينشدون هذا اللحن)

دور

الجميع:

قد صَفَا الدهرُ لنا

وحَبَانَا بالمُنَا

وانجَلَىٰ صُبحُ الهنا

عن مُحيَّاه الوسِيم

دور

حسام الدين:

إننــي قــدْ ضــاقَ صَــدْري

حينمـــا كنـــتُ بأَسْـــرِي

فـــــأزالَ اللهُ ضُـــــرِّي

إنـــهُ البَـــرُّ الـــرَّحيمُ

الجميع: قد صفا.. إلخ

دور

حسام الدين:

إننــي قــد كنــتُ شــاكرْ

ولحُكـــمِ اللهِ صـــابِرْ

فغَـــدَا للكـــسرِ جـــابرْ

جـــلَّ مولانـــا الكـــريمْ

الجميع: قد صفا.. إلخ

دور

حسام الدين:

إننــي قــد لاحَ سَــعْدي

وحبـــاني اللهُ قـــصدي

وحبيــبُ القلــبِ عنــدي

ذلـــك الفـــوزُ العظـــيم

الجميع: قد صفا... إلخ

دور

الكل:

ربنـــا أوصِـــلْ إلينـــا

نِعَمًـــا تـــسمو لـــدينا

واسْــبِلِ الــسِّترَ علينـــا

وامْنَح الفـضلَ العَمِـيم



الفصل السادس

(تُرفع الستارة عن الوزير حازم وهو في قصره ينشد هذه الأبيات)

حازم لنفسه:

العينُ أصلُ عنَاهَا فتنةُ النَّظرِ
والقلبُ كلُّ أذاهُ الشغلُ والفِكَر

كم نظرةٍ نَقَشتْ في القلبِ
راحَ الفؤادُ بها في الأسرِ والحَذَر

صورةَ مَنْ والمرءُ ما دامَ ذا عينٍ يُقلِّبها
في أعينِ العينِ موقوفٌ علىٰ الخَطَر

يسرُّ مقلَتَه ما ضَرَّ مُهجَتَهُ
لا مرحبًا بسرورٍ جاءَ بالضَّرر

يقولُ قلبي لِعيني كلَّما نظرتْ:
كم تنظُرينَ رماكِ اللهُ بالسهرِ!

فالعينُ تُورثه هَمًّا فتشغلُهُ
والقلبُ بالدمعِ ينهَاهَا عن النَّظَرِ

هـذان خَـصمانِ لا أرضَـىٰ بحُكمِهِمـا

واحيرةَ الصبِّ بين القلبِ والبَصَرِ[1]

فصبرًا يا فؤاد صبرًا، فعسىٰ الله أن يحدث بعد ذلك أمرًا.

ولا بد أن يكون الأمير غصوب قد وصل إليه مني ذلك المكتوب، وأتم لي بعلو همته ذلك الغرض، ونفي عني بهلاك حسام الدين هذا المرض، ولكني أرىٰ نسيمًا قد تأخر بالحضور إليَّ، وطالت مدة غيابه عليَّ، وما أدري ما الذي أجراه! وأرجو أن يكون عن قريب قادمًا عليَّ ببشراه..

(هنا يدخل خادمه نسيم)

نسيم لحازم: مولاي أبشر بنُجْح المطالب، ونيل المآرب.

حازم لنسيم: وبم تبشرني يا نسيم؟!

نسيم لحازم: أبشرك بالخير العظيم، اعلم يا مولاي أن الأمير غصوب قد ألقىٰ حسام الدين في السجن يقاسي أنواع الكروب، وقد فارقته مصممًا علىٰ قتل ذلك المهان، آخذًا بالثأر فإنه قد قتل ابن خالته الغضبان.

حازم لنفسه: الحمد لله قد نلت ما كنت أتمناه، فلك البشرىٰ يا فؤاد، فقد تيسر لك نيل المراد

---

(1) الأبيات الثلاثة الأخيرة لخالد بن يزيد البغدادي الكاتب، انظر ديوان خالد الكاتب، ص 141. وفيه "فاحكم فديتك بين القلب والبصر".

(شعر)

رَوَىٰ النسيمُ لقلبِي أطيبَ الخَبَرِ
فنالَ مِما رواهُ مُنتهىٰ الوَطَرِ
يا قلبُ بشراكَ مِن سلمىٰ بقربِ لِقَا
تعتاضُ فيه الذي ضيَّعْتَ من عُمُرِ

حازم لنسيم: خذ يا نسيم هذه الدنانير علىٰ تلك البشرىٰ، وسأمنحك أضعافها، فطب نفسًا وانشرح صدرًا.

نسيم لحازم: بلغك الله يا مولاي المقاصد، ولا برحت تتلي بمكارمك سور المحامد.

(يدخل أحد خدمة الوزير)

الخادم لحازم: مولاي إن خادم أمير المؤمنين بالباب.

حازم للخادم: فليدخل.

حازم لنفسه: أظن أن أمير المؤمنين قد بلغه أمر ولده حسام الدين، فأرسل إليَّ ليستشيرني فيما يفعل، ولم يدر أنني كل الوسائل علىٰ هلاكه أعمل، ولابد أن أتبع الدلو بالرَّشَا[1]، ويفعل

(1) من أمثال العرب؛ أَتْبِع الدَّلْوَ الرَشَاءَ. المستقصىٰ في أمثال العرب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، 1/ 23، وفي مجمع الأمثال: "لَيْسَ الدَّلْوُ إلاَّ بالرِّشَاءِ" 2/ 188، ومعناه أن الدلو لا يمكن استخدامه إلا بالحبل لجلب المياه، ويضرب المثل في ضرورة التعاون والتآزر.

الله بي بعد ذلك ما يشا.

خادم لحازم: إن مولاي أمير المؤمنين يدعوك للحضور إليه الساعة.

خادم لخادم: سمعًا لمولانا وطاعة.

(يخرج الخادم)

حازم لنفسه:

بالغـدرِ قـد أحـرزتُ كـلَّ مُـرادي

وبلغـتُ فِيـهِ غايـةَ الإِسـعادِ

لا خيـرَ فـيمن لا يخـونُ خليلَـه

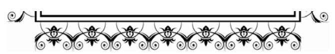
أو مـن يبيـعُ ضـلالَهُ برشـادِ

لا كنـتُ كاسـمي في المعـالي حَازمًـا

إن رحـتُ إلا سـاعيًا بفـسادِ



المنظر الثاني



(ترفع الستارة عن قصر الملك وهو ينشد هذه الأبيات)

الملك لنفسه:

لا بِــدْع أن واصــلتْ أجفــاني الــسهدَا

وفــتَّ عظمــي، وغــال القلــب والكبــدا

وقد مَحَا رسمَ جسمي البَيْنُ مِنْ ولَدي

فالروحُ قد فارقتْ يوم النَّوَىٰ الجَسَدَا

والــصبر قــد خــانني يــوم البعــاد وقــد

ذابــتْ حــشَاشةُ قلبــي بــالجَوَىٰ كَمَــدَا

أُمــسي وأُصــبح في حُــزْنٍ وفي قَلَــقٍ

غــداةَ عَنِّــي حــسامُ الــدينِ قــد بَعُــدَا

أواه قــد ذابَ قلبــي مــن نَــوَىٰ ولــدي،

والــدمعُ مِنِّي علىٰ الخَـدَين قد جَمـدَا

آه!

ما أصعب الفراق علىٰ المحب المشتاق!

وما أمرَّ النوىٰ علىٰ حليف الجَوَىٰ!

وما أشد البعاد علىٰ من جفا جفنه الرقاد!

تبًا لزمان موارده لا تصفو، وبعدًا لدهر مضاربه لا تنبو[1]!

كم أساءت[2] صروفه إليّ، وجارت بفراق ولدي عليّ!

وطالما أتجلد وأتصبر وأتجرع لبعاده الموت الأحمر.

وقد امتدت عليَّ مدة الغياب، وأبطأ حسام الدين برد الجواب، وكثيرًا ما صبّرتُ والدته علىٰ الفراق، وبشَّرتها بقرب ساعات التداني والتلاق، وهي لا تزداد إليه إلا اشتياقًا في كل يوم، وقد جفا جنبها المضاجع، وطلق جفنها النوم، وعلىٰ الأخص شقيقته سلمىٰ، فإنها قد ذابت من فرط البعد سقمًا، وهىٰ ما بين حزن وكمد، وزائد لوعة وحرقة كبد، وقد حرمت جفونها الرقاد، واستباحت الأرق والسهاد، وقد زادتني حالتها حزنًا علىٰ حزني، وضاق لأجلها رحيب الصدر مني، وكلما عللتها بشراب الصبر وقرب اللقا، لا تزداد إلا تحزُّنًا وتشوُّقًا، وقد أعيتني في أمرها الحيل، وما أدري كيف يكون العمل!

(تدخل الملكة أسما وابنتها سلمىٰ)

---

(1) تَنْبُو: تُفارِق.

(2) في النسخة: "أسأت".

أسما للملك: ما عندك من الخبر يا مولاي عن ولدي حسام الدين؟! فقد هدَّ طول بعاده ركن صبري المتين، وأحرم طرفي لذيذ المنام، وأهاج بي الوساوس والأوهام، فهل جاءت عنه الأخبار؟! فقد طال عليّ أمد الانتظار.

الملك لأسما: لا، لم يأتني عنه خبر، ولكن قدومه إن شاء الله عن قريب منتظر، فصبِّري النفس وبالقرب علّليها، وبشريها بتداني نوال أمانيها.

أسما للملك: كيف يكون ذلك يا أمير المؤمنين؟! وأنَّىٰ يجمل بي الصبر علىٰ فراق ولدي حسام الدين وقد فتت أيدي البين كبدي، وأوهىٰ تزايد الأحزان جلدي؟!

(شعر)

قد فتَّتَ البَيْنُ مِنِّي مُهجةَ الكَبِدِ
وقد تزايدَ حُزْني من نَوَىٰ وَلَدِي
ما الصبرُ من بعدِهِ والله يَجمُلُ بي
وكيف صبري، وإني قد وَهَىٰ جلدي؟!
يا غائبًا غابَ أُنْسِي بعد غيبتِهِ
وحاضرَ الوَجْدِ أضحىٰ زائدَ المَدَدِ

والله ما طابَ لي من بعدِ فُرْقَتِكم
عيشٌ ولا سَكَنٌ في هذه البلدِ
يا جامعَ الشملِ فاجمعني علىٰ وَلَدي
فغيرَ قربِ حبيبي اليومَ لم أُرِدِ

سلمىٰ للملك: آه يا أبتاه إن فراق شقيقي قد شقَّ فؤادي، ومزَّق أحشائي، وأحرمني لذيذ رقادي، وقد طالت عليّ شقة البين، وكادت تجعلني أثرًا من بعد عين، ولم تزل أشواقي إليه في ازدياد، وتباريح زفراتي في صمود وامتداد، ولا أرىٰ لعضال دائي من دواء، سوىٰ شراب القرب ومفرج اللقاء.

الملك لسلمىٰ: الزمي جميل الصبر يا بنتاه، وخففي لوعة الحزن عن قلبك الأواه، فسيجعل الله بعد عسرٍ يسرًا، وعن قريب تأتينا إن شاء الله عن أخيك البشرىٰ.

سلمىٰ للملك: آهٍ يا والدىٰ! كيف يحلو لىٰ جميل الصبر، وفراق شقيقي لم يزل يُقلِّب قلبي علىٰ لهيب الجمر؟!

ما الصبرُ بعدَكَ يا حسامَ الدينِ
يحلو لقلبٍ مِن نَواكَ حَزِينُ
جرَّعتْ قلبي من فراقِكَ غُصةً
وأَثَرتَ مِن طولِ البِعادِ شُجونُ

ما كنتُ أدري قبل بُعدِكَ ما النَّوىٰ

حتىٰ بعدتَ؛ فكان فيه مَنُونِي

ما كان ظنِّي أن يطولَ غيابُكم

عنِّي؛ فخابتْ في البِعادِ ظُنُوني

يارب فاجمعْ شمل أُنْسي عاجلًا

بالقربِ من صِنْوِي حسامِ الدينِ

الملك لأسما وسلمىٰ: أطفئا[1] بالصبر لوعة حزنكما، وحسِّنا بالله تعالىٰ ظنكما، ولا تيأسا من روح الله، وسلما الأمر إليه، وكِلاه وكونا براحة بال من هذا الحين، فإنني سأجمع شملكما بحسام الدين..

أمان للملك: مولاي، إن وزيريك بالباب.

الملك لأمان: فليدخلا بالترحاب، واذهبا أنتما الآن لحجرتكما، وبشِّرا القلب بقرب نوال رغبتكما.

(تخرجان)

الملك لنفسه: عسىٰ الله أن يجعل علىٰ يديهما كشف همي، وزوال حزني وغمي.

(1) في النسخة: "اطفأ".

الوزيران للملك: السلام علىٰ أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين.

الملك للوزيرين: وعليكما السلام والتحية والإكرام **(ويشير إليهما بالجلوس)**

اعلما أن غياب ولدىٰ حسام الدين، قد شق عليّ وصيرني في حزن مبين، لا سيما انقطاع أخباره عني في هذه المدة، فإنني قد قاسيت منها أعظم شدة، وما أدري الآن كيف حال ولدي حسام الدين، هل هو في نعيم أو في عذاب مهين؟!

أمين للملك: مولاي لا يكن عندك من هذه الجهة أدنىٰ افتكار، فإني أتوسم بأن حسام الدين سيُشرِّف عن قريب هذه الديار.

حازم للملك: مولاي كن من أجل ذلك مرتاح الضمير، فعلىٰ الله حل كل عسير.

(هنا يدخل أمان ويقول بلهفة)

أمان للملك: أبشر يا مولاي بقدوم ولدك حسام الدين، وهو رافلٌ في مطارف[1] العز المتين.

الملك بلهفة: حسام الدين؟! **(ويقوم هو والوزيران)** الحمد لله

(1) رَفَلَ: جرَّ. والمطارف: جمع مُطْرَف وهي ثياب فخمة.

علىٰ سلامة لقياه، وليعط البشير ألف دينار في مقابلة بشراه، واذهبا أيها الوزيران لملاقاته، وائتيا بركابه لأتملىٰ بمشاهدة ذاته **(يخرجان ويقول حازم وهو ذاهب)** ويلاه هل هذا منام أو أضغاث أحلام؟!

الملك لنفسه:

قُدومُ حسامِ الدينِ يَقدُمُهُ البُشْرَىٰ
هو المِنَّةُ العُظْمىٰ هو النعمةُ الكبرىٰ

فللهِ ما أحلىٰ بشائر قُربِهِ
فكم روَّحتْ قلبًا وكم شرحتْ صدرا

لئن ساءني دهري بطولِ بِعَادِهِ
فقد سرَّني يومي بطلعتِهِ الغَرَّا

(يدخل حسام الدين ومن معه بالموكب الملوكاني ويتقدم ويقبِّل يَدَيْ والده)

الملك لحسام: الحمد لله علىٰ سلامتك يا ولدي، فقد تفتت من طول بعادك كبدي، فقم الآن وسلِّم علىٰ والدتك بدون توان، واخلع عنك ثياب الأسفار، والبس ثياب العز والافتخار **(فيذهب)**

أمين للملك: إني أهنيك أيها الملك السعيد، علىٰ سلامة نجلك الوحيد حامي لواء العدل والدين مولاي الأمير الخطير حسام الدين.

حازم للملك: وأنا الآخر أقدم واجبات التهاني، لرفيع مقامكم الملوكاني بهذا القدوم السعيد.

(شعر)

الملك لنفسه:

قد حَبَاني الزمانُ نيلَ الأَماني

ووفاني بَعدَ النَّوَىٰ بالتدَانِي

ساعةُ القربِ من حبيبِ فؤادي

طوَّقَتْنِي قلائدَ الإحسانِ

يا ابن ودِّي لولا لقاء حبيبي

بَعدَ بُعدٍ لَمَا شكرتُ زَمَانِي

(يدخل حسام الدين ويقول)

حسام للملك:

يا مليكًا عَمَّ الأنامَ بفضلٍ

دُمْ دهورًا في العِزِّ خيرَ مُصَان

وعليــكَ الــسلامُ مــا اهتــزَّ غُــصنٌ

أو بَـدَا في الـدُّجَىٰ ضِـيَا الفرقـدان[1]

الملك لحسام: أخبرني يا ولدي عمَّا جرىٰ لك في سَفْرتك، وما قاسيته من الأهوال في غربتك.

حسام للملك: إنني يا والدي قد شاهدتُ في سفرتي العجائـب، وكابدتُ من حوادث الأيام ما تشيب له الذوائب، وذلك أنني بعـد مفارقة ذاتك العلية، ووصولي للأقطار المصرية، ألفيت فيهـا مـن الآثـار القديمـة، والمنـاظر العظيمـة، مـا يـدهش الألبـاب ويحيـر الأفكار، وتشخص إليه البصائر فضلًا عـن الأبـصار.. وبعـد ذلـك دخلت الأماكن الحجازية، وحاربت من زمني كل رزية[2]، واتفـق أني قتلت الغضبان ابن أخي هذا الأمير **(ويشير إلىٰ غـانم)**، وكنـت لابنته صباح خير نصير، وحـين رجـوعي إلـىٰ هـذه الـديار، أرسـل إلـيّ أميـر كاظمـة بعـض قومـه الأشـرار، فقطعـوا علـىٰ الطريـق وأسـروني، وفي أضـيق سـجن ألقـوني، وقـد فَلَـتَ نـديمي نـديم وخادمي سليم، فأما نديم فإنه اقتفىٰ أثري، وأمـا سـليم فإنـه ذهـب وأَعْلَمَ الأمير غـانم بخبري؛ فأسـرع وأنقـذني مـن أيـدي غـصوب الغادر، من بعد ما بلغت الروح الحناجر.

(1) في النسخة: "الفرقدين".

(2) الرَّزِيّة: الْفَجِيعَة.

الملك لحسام: وأين هو الآن غصوب؟!

حسام للملك: هو خارج القصر يقاسي الكروب.

حازم لنفسه: ويلاه قد ظهر السر المحجوب.

الملك: عليَّ به بالحال.

الملك لحسام: حقًا يا ولدي أنك قاسيت النوائب، وشاهدتَ من دهرك أنواع العجائب!

(يدخل غصوب في غاية من المذلة والهوان)

الملك لغصوب: ما الذي حماك يا مهين علىٰ ما فعلته بولدي حسام الدين؟!

غصوب للملك: عفوك يا مولاي[1]، اسأل وزيرك حازم؛ فإنه بذلك أكبر عالم.

حازم لغصوب: ما هذا الكلام يا نسل اللئام، أتظن أنك بمحاولة الجواب تخلص من نوازل العذاب؟!

حازم للملك: عجِّل يا مولاي عليه بالإعدام، وأرح من شره الأنام، فإنه مرتكب الجرائم، أفاك آثِم.

غصوب لحازم: من الذي ارتكب هذه الجرائم؟ أأنا أم أنت يا حازم؟! خذ يا مولاي هذا الكتاب وانظر فيه ليظهر لديك من منا الكذاب.

---

(1) في النسخة: "موي".

(يأخذه الملك ويتأمل فيه، ثم يهز رأسه تعجبًا ويرميه لحازم)

حازم لنفسه: وافضيحتاه هذا اليوم آخر الحياة

الملك لحازم: خذ يا خاين هذا الكتاب واقرأه بالجهر، فقد كشف الله عنك لباس الستر.

(يأخذه وترتعش يداه، ويتلجلج لسانه في قراءته فيصيح به قائلًا:)

ارفع صوتك بقراءته[1] يا غدَّار، فلا عمرت بك أوطان ولا ديار.

(صورة الجواب):

إلىٰ أمير كاظمة الأمير غصوب

بعد السلام الأسمىٰ والتحايا الحسنىٰ، فالذي أؤمله من هممك العالية، ومروءتك السامية، إلقاء القبض علىٰ ابن أمير المؤمنين حسام الدين، وتجريعه أنواع العذاب المهين، ومتىٰ أتممت لي بهلاكه القصد؛ جعلتك أميرًا علىٰ سائر بلاد نجد.

الوزير حازم

الملك لحازم: ما هذه الفعال يا لعين؟! أفما يشفي غليلك سوىٰ هلاك حسام الدين؟! فسوف أُريك جزاء ما جنته يداك، لا

(1) في النسخة: "قرائته".

حيَّاك الله ولا بيَّاك.

الملك لأمين: انزع يا أمين عن رأسه تاج الوزارة، واخلع من أصبعه خاتم الإمارة، وقد حكمت عليه بالإعدام؛ ليكون عبرة لسواه من الأنام.

(يتقدم الوزير أمين وينزعهما منه)

حازم للملك: مولاي أتوسل إليك بولدك حسام الدين، أن تعفو عن ذنبي المبين، فإن عفوت فأنت لذلك أهل، وإن جزيت فذلك عين العدل.

(شعر)

أذنبــتُ ذنبًــا عظيمًــا

وأنــتَ للعفــوِ أهــلُ

فــإنْ عفــوتَ فَمَــنٌّ

وإنْ جَزَيــتَ فعــدلٌ[1]

حسام للملك: مولاي أرجوك أن تقبل عثرته، وتغفر له زلته[2].

الملك لحسام: لا يا ولدي حسام الدين، لا يتأتىٰ العفو عن

---

(1) البيتان لإبراهيم بن المهدي. انظر: إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، تاليف: محمد دياب الإتليدي، ص 229.

(2) في النسخة: "ذلته".

هذا اللعين، فإن ذلك من وضع الشيء في غير محله، ولا بد أن أذيقه كأس هوانه وذله.

إذا أنـــتَ أكرمـــتَ الكـــريمَ ملكتَـــهُ
وإنْ أنـــت أكرمـــتَ اللئـــيمَ تَمَـــرَّدا
فوضْعُ النَّدىٰ في موضعِ السيفِ بالعُلَىٰ
مُضِرٌ كوضعِ السيفِ في موضعِ النَّدَىٰ[1]

حازم للملك: مولاي إن كان ذنبي عظيمًا[2] فحلمك أعظم، وإن مسني القنوط جعلت رجائي لعفوك أَسْلم.

ولما قَسَىٰ[3] قلبي وضاقتْ مذاهِبِي
جعلتُ الرَّجَا مني لعفوكَ سُلَّمًا
تعـــاظَمَنِي ذَنْبِـــي فلمَّـــا قَرَنْتُـــهُ
بعفوِكَ حقًا؛ كان عفوُك أعظما[4]

الملك لحازم: لا عفو لك عندنا يا كثير الغدر

حازم للملك: إذن، بيدي لا بيدك يا عمرو

(1) البيتان مشهوران للمتنبي، انظر: ديوان المتنبي، ص 372.
(2) في النسخة: "عظيم".
(3) في النسخة: "قسا".
(4) ديوان الشافعي، المسمىٰ الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد محمد إبراهيم سليم، ص 135.

(ويخرج من وسطه خنجرًا ويطعن به نفسه)

الملك لحازم: اذهب إلىٰ النار يا لعين؛ فإن هذا جزاء الخائنين.

الملك لأمين: وقد أصدرنا الحكم يا أمين علىٰ غصوب، بتأبيد سجنه؛ ليذوق أنواع الكروب.

غصوب للملك: مولاي عفوك عني، فأنت أولىٰ بي مني.

الملك لغصوب: لا تُكثر الكلام يا غادر علينا، فما يُبدَّل الحكم لدينا.

الملك للخادم: خذوه فغلوه، وفي السجن ضعوه.

الملك لغانم: وأنت يا غانم، قد جعلتك وزيرًا مكان حازم، مكافأة لك علىٰ صنعك الجميل، ومقابلة علىٰ عملك الجليل، وقد زوجت ولدي حسام الدين بابنتك صباح، ولتقام لهما في الحين معالم الأفراح.

(يقوم الجميع وينشدون هذا اللحن وهو ختام الرواية)

دور

أشرَقَتْ شمسُ التهانِي

وبدا نَجْمُ السُّعود[1]

(1) نَجْمُ السُّعُود: كوكبٌ منيرٌ منفردٌ.

وانْجلَىٰ صبحُ الأماني

وبِـــهِ ضـــاءَ الوُجـــود

دور

يـــا مليكًـــا عـــزَّ قَـــدْرًا

وسَـــمَا نهيًـــا وأَمْـــرا

قـــد حَبَـــاكَ اللهُ نـــصرًا

خَفَقَـــتْ منـــه البُنُـــود

دور

شـدت أركـانَ المعـالي

وازدهـتْ فيـكَ الليـالي

وأضـــا بـــدرُ الكمـــالِ

مِـن سَـنَا عَـدْلٍ وجُـود

دور

سـدَّدت أحكـامَ الـبلادِ

ناهجًـــا نهـــجَ الـــسدَّاد

فغـــدتْ كـــلُّ العبـــادِ

لا يُـرىٰ فـيهم حَـسُود

دور

إنَّ أعـــداكَ اللئامَـــا

قـد سُـقوا المـوتَ الزُّؤامـا

وعـــذابُ اللهِ دَامَـــا

فـــوقَهُم حتـــىٰ الخُلُـــود

دور

والرَّعَايـــا باحتفـــاءٍ

رفعـــت أيـــدي دعـــاء

ترتَجِـــي طـــولَ بقـــاءٍ

لـكَ يـا كهـفَ الوفـود

دور

دامَ في عـــزٍ مـــشيدٍ

غوثُنَـا (عبـدُ الحميـدِ)

وبـــهِ نجـــمُ الـــسُّعوُدِ

قـــد تبـــدَّىٰ في صُـــعُود

دور

(وبعبـــاسِ) المعـــالي

بـسمتْ بِـيضُ الليـالي

وبـــهِ كـــل الأهـــالي

أحـرَزَتْ غـايَ الـسُّعود



المراجـع



1. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1405هـ = 1985م.

2. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السود.

3. إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، محمد دياب الإتليدي، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز سالم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1425هـ = 2004م.

4. الإمام مصطفىٰ الرافعي، الأستاذ مصطفىٰ نعمان البدري، جامعة بغداد بالاشتراك مع مطبعة دار البصري.

5. البداية والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.

6. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضىٰ الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

7. تاريخ المسرح في مصر، الدكتور سيد علي إسماعيل، مكتبة الأسرة، الهيئة العامة للكتاب، مصر 2005م.

8. تنزيه الشريعة المرفوعة، أبو الحسن علىٰ بن محمد بن

العراق الكناني، تحقيق عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، 1981م.

9. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، أبو زيد محمد بن خطاب القرشي، تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.

10. جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، دار الفكر، بيروت.

11. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق محمد نبيل طريفي وإميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، 1998م.

12. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحبي، دار صادر، بيروت.

13. ديوان ابن سناء الملك، صححه وعلق عليه وقدَّمه محمد عبدالحق، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، الطبعة الأولىٰ، 1377 هـ = 1958م.

14. ديوان ابن سهل الأندلسي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر ببيروت، 1400 هـ = 1980م.

15. ديوان أبي فراس الحمداني، شرح الدكتور خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1414 هـ = 1994م.

16. ديوان الأبيوردي، محمد بن أحمد الأبيوردي، المطبعة

العثمانية 1317ه.

17. ديوان الإمام الشافعي، اعتنىٰ به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، 2005.

18. ديوان الإمام الشافعي، جمعه وشرحه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولىٰ، 1404 هـ = 1984م.

19. ديوان البارودي، مكتبة الآداب، القاهرة، تقديم الدكتور محمد حسين هيكل، 2013م.

20. ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف مصر.

21. ديوان التلعفري، حققه وقدم له الدكتور رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، الطبعة الثانية، 2004.

22. ديوان الشافعي، المسمىٰ الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد وتقديم وتعليق محمد إبراهيم سليم، مكنبة ابن سينا، القاهرة، بدون تاريخ.

23. ديوان الطغرائي، طبعة القسطنطينية سنة 1881م.

24. ديوان المتنبي، دار بيروت، 1403 هـ = 1983.

25. ديوان بشار بن برد، شرح وتكميل الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1386 هـ = 1966م.

26. ديوان خالد الكاتب، تحقيق كارين صادر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، مديرية إحياء ونشر التراث العربي، إحياء التراث العربي.
27. ديوان ديك الجن الحمصي، جمع وتحقيق ودراسة مظهر الحجي، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004م.
28. ديوان سيدي الغوث أبي مدين، طبعة خاصة بمناسبة الذكرىٰ المائة الخامسة لوفاة سيدي أبي الغوث محمد بن عبد الكريم التلمساني، المغرب، 2004م.
29. ديوان عمر بن أبي ربيعة، تقديم الدكتور فايز محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1996م.
30. ديوان عنترة بن شداد، طبع علىٰ نفقة خليل خوري، مكتبة الآداب، الطبعة الرابعة، بيروت، 1893م.
31. ديوان مجنون ليلىٰ، جمع وتحقيق وشرح عبدالستار فراج، مكتبة مصر، القاهرة.
32. ديوان مصطفىٰ صادق الرافعي، تحقيق الدكتور ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، لبنان، 1425هـ = 2004م.
33. السحر الحلال في الحكم والأمثال، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلمية، بيروت.
34. سقط الزند، أبو العلاء المعري، دار بيروت ودار صادر،

1376 هـ = 1957م.

35. شرح ديوان عنترة للخطيب التبريزي، تقديم مجيد طراد، دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الأولىٰ، 1422هـ = 1992م.

36. طيب المذاق من ثمرات الأوراق، لتقي الدين ابن حجة الحموي من حديث إبراهيم بن المهدي، تحقيق أبو عمار السخاوي، دار الفتح، الشارقة، 1997م.

37. فوات الوفيات، ابن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1971م.

38. كتاب الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.

39. الكشكول، الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، 1418هـ = 1998م.

40. لسان العرب، محمد بن مكرم الإفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ.

41. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق محمد محيىٰ الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

42. المحاسن والأضداد، أبو عثمان الجاحظ، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1415هـ = 1994م.

43. محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني، مكتبة الحياة، بيروت.

44. المدهش، أبو الفرج ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1985م.

45. المرقصات والمطربات، ابن سعيد الأندلسي، جمعية المعارف، مصر.

46. المستقصىٰ في أمثال العرب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1987.

47. المسرحية في الأدب العربي الحديث، الدكتور محمد يوسف نجم، دار الثقافة والنشر والتوزيع، 1967م.

48. مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: السيد أبو المعاطي النوري وآخرين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1419هـ = 1998م.

49. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1993م.

50. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم

الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ.

51. معجم المسرحيات العربية والمعرَّبة (1848-1975م)، يوسف أسعد داغر، نشرة دار الحرية للطباعة ببغداد، 1398هـ = 1978م.

52. معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي، تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر، مراجعة الدكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، 1424 هـ = 2003م.

53. مقامات الحريري، تحقيق يوسف بقاعي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولىٰ، 1981م.

54. موسوعة المسرح المصري (1900-1930م)، الدكتور رمسيس عوض، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م.

55. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين بن تغري بردي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.

56. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968م.

57. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفىٰ، دار إحياء التراث،

بيروت، 1420هـ = 2000م.

الدوريات والمجلات:

1. الأهرام 24 أغسطس 1903
2. الأهرام 30 أكتوبر 1903.
3. مجلة جذور الصادرة عن النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد (23) مجلد (10)، الصادر في صفر 1427
4. هـ = مارس 2006م.

